قصص
بوليسية
للأولاد

لغز الزلازل الغامضة

Looloo
www.dvd4arab.com

اجتماع فوق العادة! . .

ممدوح

قالت «هادية» «لممدوح» الذى كان يدور حول شقيقيه ويدور، ولايكاد يستقر فى مكان:

«ممدوح» أرجو أن تجلس، إن هذه العصبية لن تفيد!

ممدوح: لقد استمر الاجتماع مدة طويلة تزيد على الساعتين حتى الآن!

هادية: وماذا كنت تتوقع؟ إنهم يدرسون موضوعا هامًا..

محسن: إننى أتوقع أن تعارض والدتنا هذا المشروع، فليس سهلا عليها أن توافق على القيام بمثل هذه الرحلة التى تحتاج إلى أيام طويلة..

هادية : وأيضا بدون وسيلة سهلة للاتصال بها ..

جلس « ممدوح » إلى جانب « هادية » وقال : هل يمكن أن تخبرينى ماذا كتبت بالضبط فى مشروعك يا ملكة « التخطيط » !

ضحكت « هادية » وقالت : هذه هى المرة العاشرة التى أخبرك فيها بما كتبت فى مشروعنا الجديد الذى يناقشه بابا وماما حاليا .. اسمع :

إن المشروع يعتمد على فكرة « اعرف بلادك » فنحن نتمنى أن نطوف حول العالم .. فللسفر سبع فوائد كما يقولون ، ولكنى اقترحت أن نبدأ السياحة بمعرفة بلادنا العزيزة ، ولأن فيها مناطق كثيرة مجهولة لنا ، اقترحت أن نقضى كل إجازة فى مكان .. وقسمت هذه الأماكن إلى أربعة أقسام ..

الأول : زيارة الصحراء الغربية وأهم واحة فيها وهى واحة سيوه .

الثانى : فى الإجازة القادمة نزور منطقة البحر الأحمر .

الثالث : فى الإجازة التى بعدها نزور منطقة جنوب

أسوان والنوبة .

الرابع : وكنت أتمنى أن يكون الأول ، وهى سيناء العزيزة وسنزورها بعد التحرير الكامل إن شاء الله .

تنهد « ممدوح » وقال : أرجو أن يوافقا .. فهى رحلة رائعة فى قلب الصحراء . مجال رائع للراحة والتغيير وقضاء الليالى تحت ضوء القمر وحولنا الرمال الذهبية إلى مالا نهاية !

محسن : ياسلام .. لقد أصبحت شاعرا من شعراء الصحراء !

هادية : لعله يتصور نفسه « قيس » .. الشاعر العربى القديم !

ممدوح : وهل أجد « ليلى » لأقول لها الأشعار ؟!

وضحك الجميع .. وفى هذه اللحظة فُتح باب المكتب ، وطلب منهم والدهم الدخول . ودخل الأشقاء الثلاثة صامتين تماما .. وجلسوا ينظرون إلى وجهى والديهما ، وكأنهما يريدون معرفة النتيجة من التعبيرات المرتسمة عليهما ..

وفجأة ضحك المهندس « نبيل » وقال لأولاده : من

يراكم يتصور أنكم تنتظرون حكما بالإعدام . وارتسمت ابتسامة على وجوههم ، ولكنها لم تخف القلق الذى ارتسم عليهم بشدة وضحكت الأم ضحكة خفيفة هادئة وقالت : اطمئنوا !

لقد استطاع أبوكم أن يقنعنى بأنكم أصبحتم شبابا ويمكنكم الاعتماد على أنفسكم تماما وانقض « ممدوح » على والدته يقبلها ويقول : هل معنى ذلك أنكما قد وافقتما على مشروعنا كله ؟ صاحت الأم وهى تخلص نفسها من ذراعى « ممدوح » : انتظر .. سيقول لكم والدكم كل شىء ! قال المهندس « نبيل » : يجب أن تعرفوا أولا ، أننا وافقنا على مشروعكم لسبب هام هو هذه الدرجات الرائعة التى نجحتم بها . كان نجاحكم هذا العام فى الدراسة ممتازا .. فسوف أسمح لكم بهذه الرحلة تشجيعا منى على النجاح بهذا المستوى فى العام القادم ..

وارتفعت أصوات المغامرين الثلاثة ، تشكر الأب والأم .. وتعدهما بالنجاح بتفوق يزيد على نجاح هذا العام .. ـ

وحينئذ ابتسم الأب ، وتبادل مع أمهم النظرات ..

وعاد القلق يلوح على وجه الأولاد عندما قالت الأم . انتظروا ليس هذا كل شىء هناك مفاجأة أخرى فى الطريق ! أخبرهم حتى تكتمل سعادتهم .

الأب : حسنا نحن نعرف أنكم تعتمدون على أنفسكم فى تمويل هذه الرحلة ، ولكننا قررنا أن يقدم كل منا لكم هدية مكافأة لكم على النجاح ، تكون مناسبة لرحلتكم . وهكذا قررت والدتكم أن تقدم لكم « خيمة » كبيرة .. وصاح الثلاثة « خيمة » ! .. ياه .. وهجموا على والدتهم يقبلونها .. ويشكرونها ..

وضحكت قائلة : انتظروا . إنها « خيمة » من نوع جديد ، فهى تكاد تكون بيتا كاملا .. لأنها عبارة عن أقسام صغيرة .. تتكون منها حجرتان وصالة وتغلق جيدا من بابها .. ولها نوافذ أيضا .. وعندما تحملونها لاتزيد على حقيبة سهلة الحمل ، ولها قوائم معدنية متينة ، لقد رأيتها فى معرض أقيم منذ أيام وطلبتها لكم .. وسوف تصل غدا ..

وارتسمت السعادة بشدة على وجوههم ..

قال المهندس «نبيل»: أما هديتى أنا فقد كادت والدتكم ترفض أن أقدمها لكم، ولكننى واثق منكم ومن حسن تصرفكم.

ونظر بعضهم إلى بعض فى دهشة، ترى ماهى هذه الهدية التى تتطلب حسن التصرف؟ وقال الأب مبتسما: إنها سيارة جيب .. تصلح للصحراء .. ولم ينطق واحد منهم .. فقد كانت المفاجأة أقوى مما يتصورون ..

قال المهندس «نبيل»: لقد اشترت الشركة التى أعمل بها سيارات حديثة جداً، وباعت السيارات التى كانت تستعملها .. وقد وجدت واحدة تكاد تكون جديدة .. وهى من النوع القوى المتين .. فاشتريتها لكم. وقمت بالكشف عليها وإعدادها حتى أصبحت جديدة تماما .. مبروك عليكم ..

وضاعت بقية الكلمات وسط الضجة التى أحدثها الأولاد .. كانوا يضحكون ويتكلمون ويصرخون فى وقت

واحد، حتى اضطر والدهم إلى الوقوف والصياح فيهم ليصمتوا.

وقال: يجب أن تستمعوا إلى بقية كلامى .. إننى أعرف أنكم قادرون على تحمل المسئولية .. ولكن يجب أن تكونوا على حذر، سأرسل معكم الأسطى «على» ولاتطلبوا منه السرعة فى القيادة لأى سبب من الأسباب. فالسرعة دائما وراء الحوادث .. كما يجب أن تتعلموا – خلال الأسبوع الباقى على قيامكم بالرحلة – الكثير عن إصلاح السيارات .. أقصد علم الميكانيكا حتى يفيدكم فى أى مشكلة قد تصادفكم.

قال ممدوح: إننى أعرف الكثير عن إصلاح السيارات.

محسن: ومع ذلك سوف نقضى ساعات طويلة هذا الأسبوع فى تعلم الميكانيكا.

وقالت أمهم: وأنا متأكدة أن «هادية» ستكون ربة بيت ممتازة. وسوف تطعمكم فى الرحلة أشهى الأطعمة.

ممدوح: تقصدين ربة «خيمة»، أما أشهى الأطعمة فستكون ساندويتشات طبعا!

هادية : اطمئن .. ستكون ساندويتشات لذيذة ومغذية !

ممدوح : المهم أن تكون كثيرة !

الأم : طبعا . سوف أمدكم بصندوق كامل من المعلبات .

فصاح **الأب** : الآن انتهت الجلسة هيا .. اتركونا ، فنحن أيضا عندنا خطة للإجازة .

وأسرع الثلاثة بالخروج .. وهم لايصدقون أنفسهم .

قال **محسن** : من كان يصدق ، معنا خيمة وسيارة ماذا ينقصنا ؟

ممدوح : أن نبدأ الرحلة فورا .

هادية : سنبدؤها أول الأسبوع القادم .. ويجب أن نعد كل شيء بدقة . حتى لانتعرض لأى ظروف معاكسة !

ممدوح : ولماذا أطلقنا عليك لقب ملكة التخطيط ؟ لهذه الظروف طبعا ! عليك إعداد خطة الرحلة واحتياجاتها وظروفها . وعلينا التنفيذ ..

هادية : سأعد لكل منكما قائمة باحتياجاته ليجهزها . إلى اللقاء فى الخامسة تماما .. فى حجرتى « بالكوخ العجيب » ..

وافترق الأشقاء الثلاثة .. وذهب كل واحد منهم إلى حجرته . وهو يفكر فى الرحلة القادمة ..

* * *

فى الساعة الخامسة تماما .. التقى المغامرون الثلاثة فى حجرة « هادية » فى « الكوخ العجيب » وهناك سلمت كلَّ أخٍ كشفاً بالأدوات التى يجب أن يعدها لنفسه وقالت إنها ستتكلف بالطعام وأدوات الإسعاف بالإضافة إلى أدواتها الخاصة وأخذ الثلاثة يناقشون كل أمور الرحلة ..

وانتهى الكلام ، وصمت الثلاثة ، وتنهدت « هادية » وقالت : أسبوع طويل باقٍ على الرحلة .. أرجو أن ينقضى بسرعة !

محسن : لقد فكرت فى ذلك أنا أيضا .. وعندى اقتراح أرجو أن يعجبكما ؟

ممدوح : تكلم .. وسنبدى رأينا بصراحة !

محسن : مارأيكما فى أن نشغل أنفسنا هذا الأسبوع فى لغز جديد ؟

سألت « **هادية** » بلهفة : وهل عندك لغز فعلا ؟

محسن : ليس تماما .. ولكنى قرأت اليوم خبرا فى صفحة الحوادث عن اختفاء أربعة من الأجانب بعد وصولهم إلى القاهرة بأيام .

هادية : موضوع عادى ومتكرر .. وربما كانوا فى رحلة سياحية إلى مكان ما ..

ممدوح : وقد يأخذ ظهورهم وقتا أكثر من أسبوع . ونحن لانريد أن تؤجل رحلتنا لأى سبب من الأسباب !

محسن : على كل حال لقد كان من المقرر أن نمر على المفتش « حمدى » لنودعه ونطلب منه بعض الخرائط المفصلة للصحراء .. فما المانع فى أن نمر عليه اليوم وأن نسأله عن موضوع اختفاء هؤلاء الأجانب .. شىء يشغل فراغنا على كل حال . نظر بعضهم إلى بعض . وقال « ممدوح » : لامانع طبعا .. وقفز إلى التليفون فورا وقال : سأطلب المفتش

« حمدى » لينتظرنا فى مكتبه .

بعد قليل وصل الإخوة الثلاثة إلى مكتب صديقهم العزيز المفتش « حمدى » الذى طالما ساعدوه فى الألغاز والقضايا الغامضة ، وقابلهم فى مكتبه مفتوح الذراعين .. مبتسم الوجه .. وقال ضاحكاً . ماهذه الأخبار الجديدة ؟ هل تتركون البحث عن القضايا والألغاز وتتحولون إلى رحالة ومكتشفين ؟

وضحك الثلاثة وقال « **ممدوح** » : فكرة لم تخطر على بالنا . ولكننا نحاول التغيير فى قضاء الإجازات بالتعرف على بلادنا . قال « **حمدى** » وهو يقدم لهم أكواب الليمون : الحقيقة أنها فكرة رائعة وإن كنت سأفتقدكم كثيراً وأرجو أن تكونوا على حذر فى الصحراء فإن طرقاتها كلها متشابهة وكثيرا ماضل الطريق فيها كثيرون !

هادية : إننا نطمع فى أن نجد لديك بعض الخرائط التفصيلية التى تساعدنا فى رحلتنا !

المفتش « **حمدى** » : طبعا ! لقد أعددتها بالفعل بمجرد

أن علمت بأخبار هذه الرحلة ، وهناك شىء آخر .. هل منكم من يستطيع استعمال جهاز اللاسلكى ؟

محسن : أنا .. لقد درسته جيدا فهذا جزء من هواياتى !

المفتش « **حمدى** » : حسناً .. لقد قررت أن أزود سيارتكم بجهاز اللاسلكى .. وسأعلمك كيف يمكن أن تستعمله بحيث تتصل بى مباشرة فى أى مشكلة تقع فيها ..

قالت « **هادية** » : يبدو أننا لن نتعب أبداً فى هذه الرحلة فالجميع يشتركون فى إمدادنا بكل أسباب الراحة والأمان ! .

المفتش « **حمدى** » : أنتم أعز الناس عندى فكيف لا أعمل على الاطمئنان عليكم .. وعلى فكرة متى ستكون السيارة جاهزة لأركب لكم جهاز اللاسلكى !

محسن : سنحضرها لك بمجرد تسلمها .. وعلى فكرة لقد قرأنا خبر اختفاء أربعة من الأجانب فى الجرائد .. فهل هى قضية هامة ؟ !

المفتش « **حمدى** » : حتى الآن لا أظن ، فكل التفاصيل تتلخص فى أن أربعة من الأجانب قد وصلوا إلى القاهرة

ونزلوا فى فندق « النهار » ودفعوا مبلغا تحت الحساب ، وبعد يومين خرج الأربعة ولم يعودوا فى المساء ولا فى اليوم الذى بعده . والقانون يحتم على كل صاحب فندق أن يبلغ عن وجود أجانب فى فندقه ، وقد اتصلت إدارة الفندق وأبلغتنا بحضورهم ثم خروجهم بدون عودة .. ولما بحثنا فى غرفهم وجدنا الحقائب خالية .. ولكننا يجب ألا نعتبرها قضية فإن أحدا لم يقدم بلاغا رسميا باختفائهم حتى الآن ..

هادية : هذا ما توقعته .. فربما كانوا قد ذهبوا إلى رحلة ما !

المفتش « **حمدى** » : ونحن نرجح هذا أيضا .. وخاصة أن كاتب الفندق ذكر أن آخر مرة رآهم فيها كانوا يحملون حقيبة ضخمة ، تبدو ثقيلة تماماً حتى إنهم قد اشتركوا فى حملها ، ورفضوا أن يحملها عنهم عمال الفندق !

محسن : ولكن أليس غريبا أن يتركوا الحقائب خالية ؟ ولماذا لم يبلغوا إدارة الفندق عن غيابهم فترة الرحلة !

المفتش « **حمدى** » : ماهذا ؟ هل تقلبونها إلى لغز يحتاج إلى حل ؟

هادية : ولِمَ لا ؟ ألاتسمح لنا بالبحث حول هذه القضية ؟

المفتش « **حمدى** » : هل تظنين حقا أنها قضية ؟ لم تصبح قضية بعد ! !

محسن : على كل حال لن نخسر شيئا .. وإنما نقضى وقتنا فى شىء مفيد ، وفكر المفتش « حمدى » قليلا ثم قال لامانع .. وماهو المطلوب منى الآن ؟

قال « **محسن** » بحماسة : أولا .. أن تخبرنا عن شخصية هؤلاء الأربعة .. ثم تسمح لنا بتفتيش حجراتهم فقد نعثر على شىء يوصلنا إلى المكان الذى ذهبوا إليه !

المفتش « **حمدى** » : كل مالدينا من معلومات أنهم أربعة من رجال الأعمال كما تقول جوازات السفر وسوف أعطيكم أسماءهم .. واحد منهم فقط يعمل مهندسا جيولوجيا .. وقد وصلوا من روما على شركة الطيران الايطالية مساء الأربعاء الماضى ..

وأما عن تفتيش حجراتهم فسوف أتصل بإدارة الفندق

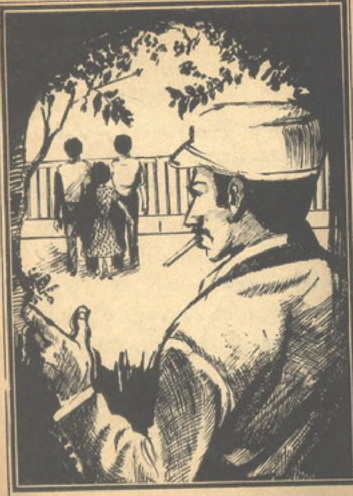

ودعهم المفتش حمدى مبتسماً .. وأخذ يفكر وهو ينظر إليهم وهم يبتعدون

لتسهيل مهمتكم !

دبت الحماسة فى المغامرين الثلاثة ، ولمعت عيونهم باللهفة لمواجهة اللغز القادم ، ووقفوا على الفور ، استعداداً للخروج . .

وودّعهم المفتش « حمدى » مبتسماً . . وأخذ يفكر وينظر إليهم وهم يبتعدون . . هل هم أمام قضية حقيقية . . أو هل يصدمون بظهور الأجانب الأربعة . . ويجدون أنفسهم أمام لغز غير موجود . .

• • •

كان فندق « النهار » أحد هذه الفنادق الصغيرة النظيفة التى فتحت أبوابها للسياح وكان ممتلئا بالوافدين وعندما دخله الثلاثة كان فى انتظارهم مدير الفندق الذى نظر إليهم بدهشة حاول أن يخفيها ، فيبدو أنه لم يكن يتوقع أن يراهم فى هذه السن ولعله كان ينتظر ثلاثة من الرجال .. ولكنه فوجئ بشقيقين توءمين .. يبدو كل منهما صورة من الآخر ، ومعهما شقيقتهما . الفتاة الصغيرة التى تلمع عيناها بحب المغامرة

والذكاء .. ولكن المدير استطاع أن يخفى دهشته ، وجلس معهم فى مكتبه يجيب عن أسئلتهم المتوالية بكل صبر وهدوء .. فقد كانت توصية المفتش « حمدى » شديدة .. وأخذ ينظر إلى « هادية » وهى تكتب الأسئلة والأجوبة بثقة شديدة وكانت الابتسامة لاتفارق شفتيه .

وعندما انتهى هذا اللقاء قدم لهم مفاتيح حجرتين وطلب منهم بأدب شديد أن يتصرفوا بهدوء حتى لايلفتوا نظر النزلاء حيث يهمه جدا سمعة الفندق وبكل هدوء وثقة تقدم الثلاثة إلى الحجرة الأولى .. أغلقوا وراءهم الباب ووقفوا ينظرون .. الحجرة نظيفة ومنظمة وليس بها مايلفت النظر وتقدمت « هادية » وفتحت باب الصوان الأول فوجدته خاليا تماما إلا من حقيبة كانت خالية هى أيضا ومثله كان الصوان الثانى .. به حقيبتان خاليتان .. مكتوب عليهما « صنع فى إيطاليا » . أخرجوا الحقائب الثلاثة وقاموا بفحصها جيداً . ليس فيها أى شىء غريب . لاجيوب سحرية ولابطاقة داخلية ولا أزرار غير عادية .. أعادوها إلى أماكنها .. وفحصوا كل ماهو

موجود في الحجرة .. لاشيء .

بهدوء انتقلوا إلى الحجرة الثانية .. لم تكن تفترق عن الأولى في شيء أبدا نظيفة ومرتبة تماما .. اقترب « محسن » من مكتب صغير في ركن الحجرة .. فوجد عليه بعض النشرات السياحية لجمهورية مصر .. وضعها مكانها ثانية وقال : يبدو أننا وراء قضية غير موجودة إنهم في رحلة سياحية بدون شك ! فلايوجد أي دليل يثبت عكس ذلك !

كانت « هادية » في ذلك الوقت تفحص الحمام .. عادت وفي يدها قطعة صغيرة من الورق الأزرق « ورق الكربون » ممزقة الأطراف .. سمعت كلام « محسن » .. ابتسمت .. ثم اقتربت من النشرات السياحية ونظرت فيها ثم جمعتها معها ..
وقالت هيا بنا ليس هناك مانفعله أكثر من ذلك عادوا إلى مدير الفندق .. شكره الثلاثة .. وخرجوا واتجهوا إلى منزلهم .. على باب الفيلا الأنيقة كان كلبهم المخلص « عنتر » يقف رافعا رأسه وما كاد يراهم حتى أطلق نباحا عاليا ..
وأسرع إليه « ممدوح » ضاحكا وقال يبدو أن « عنتر » يتصور

أننا قد سافرنا وتركناه .. !

قالت « هادية » : وهل هذا معقول ؟ إن فوائده ستظهر لنا في رحلتنا بدون شك !

ونظر إليه « محسن » وقال : من يدري لعله يكون دليلنا عند الحاجة !

في الصباح التقى الثلاثة على مائدة الإفطار وكان « ممدوح » يرتدي أفرولا أزرق اللون وقال ضاحكاً . أنا الآن الأسطى « ممدوح » سأذهب فورا إلى الأسطى « علي » في الورشة وآخذ على يديه أحدث دروس الميكانيكا ..

قالت « هادية » : وعليك مهمة أخرى .. مارأيك في أن تخرج بجولة مع « علي » حول فندق النهار وتسأل السائقين هناك وطبعا سيساعدك « علي » في التعرّف على السائق الذي نقل السيّاح الأربعة بسيارته آخر مرة .. ومنه تعرف المكان الذي ذهبوا إليه ..

سألها « محسن » مندهشاً : أمازلت تفكرين في غياب هؤلاء الأحباب ؟ لعلهم عادوا الآن !

قالت « هادية » بجدية : لا أعتقد . وعلى كل حال سننتظر نتيجة تحريات « ممدوح » !!

قال « ممدوح » وهو يمسك سندوتشا فى يده ويندفع خارجا : الأسطى « ممدوح » من فضلك !

وضحك الثلاثة .. وفى انتظار عودة « ممدوح » أخذ « محسن » يقضى الوقت فى دراسة خرائط الصحراء الغربية وطرقها الصحراوية الدقيقة .. فى حين أمسكت « هادية » بأوراقها واستغرقت فى تفكير عميق ..

لم يمض وقت طويل حتى عاد « ممدوح » وعلى وجهه يبدو الاهتمام الشديد وكأنه يحمل أخباراً هامة .. وقال : هيا إلى « الكوخ العجيب » عندى أخبار مهمة !

وأسرع الثلاثة إلى هناك ، وحول مكتب « هادية » جلسوا بسرعة ..

ممدوح : يبدو يا « هادية » أن شكوكك فى محلها .. سأقول لكم ماحصلت عليه من معلومات .. عندما ذهبت إلى « على » فى الورشة كان يبدو عليه أنه مشغول

بشىء ما . . طلبت منه أن نذهب إلى فندق « النهار » ونسأل عن السائق كما طلبت . ولكن لم نجد السائق المطلوب بل إن سائقى التاكسيات الذين اعتادوا توصيل الزبائن إلى الفندق لم يعرفوا السياح الأربعة ، ولم يستدل واحد منهم عليهم لاعند حضورهم ولاذهابهم . . ولما يئست من الأسئلة تماماً لاحظت أن « على » قد زاد انشغاله فسألته عما يشغله فقال : إننى أحاول أن أفهم شيئاً عن الموضوع الذى تسأل عنه لأن جارى سائق مثلى ولكنه سائق تاكسى يعمل فى منطقة المطار ، وهو صديق عزيز على جداً وقد اختفى منذ يومين ، فسألته : ولماذا تربط بين اختفائه وبين سؤالى للسائقين عن السياح الأربعة ؟ قال « على » : لأن زوجة صديقى عندما اتصلت بى لتسألنى عنه قالت إنه أحضر مجموعة من الأجانب إلى أحد الفنادق وإنه اتفق معهم على توصيلة سوف يكسب منها مبلغاً ضخماً ، ولكنه لم يخبرها أنه سيتأخر عن موعده المعتاد للعودة إلى منزله . ومع ذلك لم يعد منذ يومين ؟ وصمت « ممدوح » ونظر الثلاثة بعضهم إلى بعض .

وأخيراً قال « **محسن** » : أين « على » الآن ؟

ممدوح : سيحضر حالا ، لقد ذهب يوصل دوسيها إلى والدى وسيكون هنا خلال دقائق . وفعلا قبل أن يتم « ممدوح » كلامه كان « على » يقترب من « الكوخ العجيب » وأمامه يجرى « عنتر » مرحبا كعادته .

وسأله « **محسن** » مباشرة : هل يمكن أن نذهب إلى بيت زميلك المفقود ؟

على : إن زوجته سيدة بسيطة جداً ولن تعرفوا منها أكثر مما أعرف !

هادية : مااسم صديقك ؟ وماشكله ؟

على : اسمه « سماحة » . سماحة الفيومى وأخرج من جيبه صورة لشاب أسمر اللون قوى الشخصية نظر إليها الثلاثة بدقة شديدة .. !

محسن : هل التاكسى الذى يقوده ملكٌ له أو لشخص آخر ؟

على : لا .. إنه ملكه الخاص .

محسن : وهل اختفى التاكسى معه ؟

هز « **على** » رأسه وقال : لا .. التاكسى موجود فى الجراج الذى يبيت فيه كل ليلة وكان « سماحة » قد أخبر زوجته أنه لن يعمل عليه ذلك اليوم !

قالت « **هادية** » بهدوء : « على » هل يمكن أن تخبرنا بمنتهى الدقة بما قالته لك زوجة « سماحة » ؟ نرجو ألا تغفل شيئا مهما يكن تافهاً فى نظرك ..

على : هذا أفضل ، قالت لى إن « سماحة » عاد يوم الأربعاء الماضى وكان شديد السعادة وأخبرنى أنه قد أحضر أربعة من الأجانب من المطار إلى أحد الفنادق وكانوا يتكلمون باللغة الإنجليزية ولكن أحدهم يتحدث العربية بطلاقة وقال « لسماحة » إنهم معجبون بطريقته فى قيادة السيارة ، وطلبوا منه أن يعمل معهم مدة يوم واحد ومنحوه مكافأة سخية .. ووعدوه بمكافأة أكبر فوافق وطلبوا منه أن يحضر إليهم يوم الجمعة ومعه سيارة « جيب » قوية ليقضوا اليوم فى صحراء الهرم وأعطوه أيضا مبلغا ضخما لاستئجار

السيارة وقد نجح « سماحة » فعلا فى العثور عند صاحب « الجراج » الكبير على السيارة المطلوبة . . وفى يوم الجمعة اتجه إلى الفندق ، ولكنه لم يعد فى المساء ولا فى اليوم التالى . . وحتى اليوم .

محسن : هل سألت صاحب جراج السيارة الجيب ؟ !

على : طبعاً ! والرجل فى غاية الدهشة لأن « سماحة » اعتاد التعامل معه ولم يحدث قط أن أغفل مواعيده !

شمل الصمت الجميع .. وأخيراً قال : « ممدوح » أعدك بأننا سنفعل كل مافى وسعنا للعثور على صديقك .

هز « على » رأسه شاكراً .. ومضى ..

نظرت « هادية » إلى شقيقيها وقالت : هناك خطوة أولى يجب أن نقوم بها !

محسن : طبعاً ! الاتصال بالمفتش « حمدى » وسؤاله هل أبلغتهم نقطة الهرم بحادث وقع لسيارة جيب بها أربعة من الأجانب .

وفى الحال اتجه إلى التليفون واتصل بالمفتش « حمدى »

وبعد قليل عاد « محسن » ليخبرهم بأن المفتش « حمدى » لم يجد أى بلاغ من قسم الهرم بل إنه اتصل بنقط المرور فلم يعثر على أى دليل على وصول السيارة الجيب إلى منطقة الهرم فى يوم الجمعة أو فى أى يوم آخر .

قالت « **هادية** » : الآن مارأيكما فى هذه القضية ؟

ممدوح : للأسف أنها تزداد غموضا وليس لدينا الوقت الكافى للبحث والجرى وراء حل غموضها .

هادية : سوف أحاول أن أكتب تقريرا مفصلا عن هذه القضية الغامضة نقدمه إلى المفتش « حمدى » قبل أن نسافر ونرجو أن يساعده التقرير فى العثور على السائق « سماحة » والسياح الأربعة . إذا كانوا حقا من السياح ..

جلس المغامرون الثلاثة حول مكتب « هادية » التي أخذت تقرأ التقرير وقد قبع « عنتر » تحت أقدامهم وكأنه يستمع هو الآخر.

هادية

وقرأت « هادية » :

وصل السياح الأربعة إلى القاهرة يوم الأربعاء وغادروها يوم الجمعة .. أستبعد الاختطاف حيث إنهم خرجوا من الفندق بكامل إرادتهم وبعد الاتفاق مع السائق « سماحة » ..

أستبعد أيضا أنهم قاموا برحلة سياحية . لأنهم لم يخطروا الفندق بذلك وأخذوا جميع ملابسهم أيضا .. وقاموا بتضليل المشرفين على الفندق لأنهم تركوا حقائبهم في

حجراتهم .. كما أنهم دفعوا أجر الإقامة لفترة طويلة .. وهذا يدل على أنهم لا يريدون أن يشعر أحد بغيابهم ونسوا أن القانون يلزم أصحاب الفنادق بالتبليغ عن الأجانب .

رأيي الخاص أنهم قد اختطفوا السائق المصري معهم .. والأسباب :

لم يخبروه بوجهتهم الحقيقية .. ولا بالمدة التي سيغيبونها بل ضللوه عندما أخبروه أنهم سيذهبون إلى الأهرام في حين اتجهوا إلى الصحراء الغربية ..

صاح « محسن » و « ممدوح » في وقت واحد : كيف عرفت ؟ !

تألقت « هادية » وقالت : النشرات السياحية التي عثرنا عليها في غرفتهم قد انتزعت منها الصفحات الخاصة بالأماكن السياحية في الصحراء الغربية.

وقطعة الكربون التي وجدتها في الحمام .. حاولت طبعها وبعد مجهود شديد وجدت أنها رسم جزء من طريق في الصحراء .. وقطعة الكربون هذه هي التي جعلتني أشك في

هؤلاء الأجانب ، فلو كانت رحلتهم سياحية عادية فلماذا يقومون بحرق أوراقهم إلا إذا كانوا يتعمدون إخفاء وجهتهم لسبب ما ! ..

والنتيجة : أن هؤلاء الأربعة قد حضروا إلى مصر لمهمة خفية وأنهم قد ذهبوا لتنفيذ هذه المهمة واختطفوا سائقا مصريا .. وأعتقد أن هذه المهمة فى الصحراء الغربية ..

ممدوح : ولماذا لانذهب إليه اليوم ؟

محسن : غدا سوف نقابل « على » فى درس الميكانيكا .. وربما يكون « سماحة » قد عاد ، وتكون أفكارنا على غير أساس !

هادية : لا أعتقد ذلك !

محسن : ولا أنا ولكن الانتظار أفضل ..

فى اليوم التالى لم يعد « سماحة » ولم يكن هناك من سبيل إلا مقابلة المفتش « حمدى » وتقديم التقرير .. فلم يبق على سفرهم سوى يومين .. لايكادان يكفيان للاستعداد .. يوم منها انقضى مع المفتش « حمدى » وهو يركب لهم جهاز

اللاسلكي ويدربهم على استعماله .. حتى اطمأن تماما . فقال لهم وهو يودعهم .. كان التقرير أكثر من ممتاز ونحن الآن نجمع المعلومات عن السياح الأربعة عن طريق الأنتربول كل ماأرجوه أن تنسوا أنتم الموضوع وتتمتعوا برحلتكم تماما وتعودوا بأجمل الذكريات .

وانقضى اليوم الأخير فى الاطمئنان على الاستعدادات .. وذهبوا إلى النوم فى انتظار فجر يوم الرحلة ..

فى الطريق إلى المغامرة الكبرى! . .

ذات العيون الواسعة

فى الصباح الباكر.. بعد الفجر مباشرة.. بدأت الرحلة . كان هذا هو الموعد الذى اتفقوا على بدء رحلتهم فيه ففى هذا الوقت يكون الجو رقيقاً والهواء مازال بارداً ولم تشتد الحرارة أو تسطع الشمس بعد ، وحتى يمكنهم الاستراحة فى وقت الظهر الشديد القيظ. وقبل أن يقفزوا إلى السيارة كان « عنتر » قد احتل مكانه بجوار النافذة وأخرج رأسه منها فقد كان يفهم تماما أنهم فى سبيلهم إلى رحلة طويلة كانت فى البداية رحلة عادية فقد اختاروا طريق الإسكندرية — مرسى مطروح وساروا فى الطريق الزراعى المعروف ومن مرسى مطروح كان عليهم الاتجاه جنوبا وسط

الصحراء الشاسعة والطرق الفرعية إلى واحة « سيوه » .

وهكذا وصلوا إلى الإسكندرية مع بداية الصباح ولكن الأسطى « على » لم يتوقف هناك بل انطلق على طريق الكورنيش الممتد غربا حتى مرسى مطروح .

وقال « ممدوح » معلقاً : لو توقفنا فى الإسكندرية فلن نقاوم إغراءها ، وسيضيع منا يوم على الأقل .

هادية : هذا صحيح ولذلك وضعنا فى خطة الرحلة عدم التوقف فى الإسكندرية .

محسن : أمامنا الآن مجموعة من البلاد الصغيرة أو القرى التى يسكنها الأعراب وأول بلدة ستقابلنا الآن هى « برج العرب » وبعدها « العلمين » .

هادية : ما رأيك يا أسطى « على » ؟ . . هل يمكنك أن تهدئ سرعتك قليلا حتى ألتقط بعض المناظر الطبيعية هنا ؟

ممدوح : طبعا . انظرى هذه الفاتنة الصغيرة . . إنها تستحق صورة وكانت السيارة تقترب من فتاة صغيرة تسوق أمامها مجموعة من الأغنام وتوقف « على » تقريبا أمامها !

ونظرت إليها « هادية » بإعجاب وقالت : إنها لم تتجاوز العاشرة .

محسن : ولكنها مسئولة عن رعى هذه الأغنام كلها .

قالت « هادية » وهى توجه إليها الكاميرا : انظر إلى ثوبها .. إنه مطرز تطريزا بدويا رائعا وكذلك هذه الطرحة التى تضعها على رأسها .. لو عرض هذا الثوب عندنا فى محل لباعه بعشرات الجنيهات .

محسن : إن هذا الفن اليدوى تعلمه الأمهات للبنات جيلا بعد جيل .

وفجأة اندفع « على » بالسيارة وقال . لو أننا توقفنا أمام كل طفل وطفلة يقابلنا فلن نصل إلى « سيوه » أبدا ..

ضحك « محسن » وقال : ولايهمك .. إننا نتجاوز الآن « برج العرب » فى طريقنا إلى « العلمين » !

هادية : وأظن أننا يجب أن نتوقف عندها . فالعلمين معروفة طبعا بأنها صاحبة أكبر معركة من معارك الصحراء .. ويقولون إنها غيرت مجرى الحرب العالمية الثانية عندما هُزم فيها

الألمان أمام الحلفاء .

ممدوح : أنت ملكة التاريخ أيضاً ياعزيزتى ، صحيح أن فيها متحفاً حربياً رائعاً ، ومقابر ضحايا الحرب وأن السيّاح يأتون إليها من جميع أنحاء العالم ، ولكننا يجب أن نتوقف فيها لسبب آخر تماماً ..

وصرخ « محسن وهادية » فى وقت واحد ، وقد تصورا أن العربة قد حدث بها عطب أو تحتاج إلى تصليح لماذا ؟ لماذا ؟

نظر إليهما « ممدوح » نظرة تعجب شديدة ، والتفت إليهما قائلا بغيظ : لماذا ؟ لأنى أكاد أموت من الجوع .. أريد أن آكل .. آكل .. ولابد أن نتناول معاً وجبة شهية تساعدنا على مواصلة الرحلة ..

وصاحت « هادية » : من فضلك ياأسطى « على » لاتتوقف !

انطلق « محسن » يضحك ويضحك .. ونظر إليه « ممدوح » بغيظ متسائلا . ولكنه تجاهله وهمس فى أذن « هادية » إنه

يتصور أن « العلمين » قريبة جداً ، طول عمره يكره الجغرافيا .. إن بيننا وبينها عشرات الكيلو مترات ؛ وضحكت « هادية » ومدت يدها بساندويتش إلى « ممدوح » وقالت : تفضل حتى نصل . وأمسك « محسن » بالخريطة بين يديه وقال : سنستريح قليلا فى « العلمين » ، ثم نواصل السير حتى « الضبعة » ثم « رأس الحكمة » ومنها مباشرة إلى مطروح حيث ننام ليلتنا . هكذا تقول الخطة .. أليس كذلك يا « ملكة التخطيط » ؟ !

هادية : فعلا .. ولكننا أيضاً لن ندخل مدينة « مرسى مطروح » الساحرة بل سنقيم خيمتنا خارج المدينة عند مشارف الطريق الموصل إلى « سيوه » !

وصمتوا قليلا ، كانت الحرارة قد بدأت تشتد ولكنهم انشغلوا بمناظر الساحل والأعراب والبلاد الصغيرة . ومرت ساعات حتى وصلوا إلى « العلمين » ..

وصاح « ممدوح » بمجرد وصولهم : الطعام . الطعام ، لا أريد ساندويتشات .. أريد طعاماً . وصاحت

« هادية » : بهذه الطريقة ستقضى على كل مؤونتنا وسنموت جوعاً فى الصحراء . وأطلق « عنتر » نبحة قوية .. وقال « ممدوح » : حتى « عنتر » ينبح محتجاً عليك ! أنت وزيرة تموين قاسية ..

أشارت « هادية » إلى « عنتر » وقالت « لممدوح » : خذه واذهب إلى المطعم الصغير وتناولا ما تريدان من الأكل . وانطلق « ممدوح » وخلفه « عنتر » وأخذت « هادية » تتجول فى المنطقة التى حولها . رأت مكانا فسيحا مليئا بالمقابر ، وبين الحين والآخر تقف سائحة تضع باقة من الزهور . ورأت مبنى جميلا مكتوباً عليه « متحف العلمين الحربى » ، وأخذت « هادية » تفكر ثم هزت رأسها وعادت إلى « محسن » قائلة : إن منطقة الساحل الشمالى كلها تحتاج إلى زيارة خاصة .

محسن : معك حق ! ..

وجلسوا فى ظل شجرة ، حتى عاد « ممدوح » متخما بالأكل ، و« عنتر » يهز ذيله سعيداً وعندما بدأت الشمس تتحول إلى جهة الغرب اتجهوا إلى سيارتهم ومرة أخرى عادوا

إلى الطريق . وقبل أن يحل المساء كانوا يقيمون خيمتهم الفاخرة على بعد أمتار من الطريق الموصل إلى مطروح وعلى «ما فيع» عنفره وفى الداخل قال محسن : هيا إلى النوم لقد قطعنا طريقاً طويلا ولكنه الطريق السهل ، أما الصعب فسيبدأ غداً ! ..

* * *

مع إشراقة الصباح الأولى كان الأسطى «على» يقود السيارة بهدوء متجها بها إلى قلب الصحراء . الطريق ضيق لم يمهد بعد .. واحد من سلسلة الطرق التى مهدها الناس بمرور الزمن .. المشهورة باسم «المدقات» فهو طريق رملى . أصبح محددا ومعروفا بمرور الزمن والناس والسيارات عليه وعرفه ركاب السيارات فساروا عليه وأصبح معروفا باسم «المدق» .

قال «على» : يجب أن نقطع أكبر قدر ممكن من الطريق قبل أن تشتد حرارة الشمس فهى هنا حارقة وملتهبة ..

هادية : معك حق ، ولكن ليس معنى ذلك أن تسير

بسرعة كبيرة فالطريق كما ترى لا يمكن الإسراع فيه ..

ضحك «على» وقال : اطمئنى ، أنت تركبين مع أمهر سائق فى العالم ..

وفى ذلك الوقت كان «محسن» يمسك بخريطة كبيرة ينظر إليها ويحدد أماكن سيرهم عليها ، وقال : أمامنا حوالى ٨٠ كيلو أو مائة لنصل إلى «عين خالدة» ثم نخرج إلى طريق آخر .. طريق فرعى أيضاً ..

هادية : هذه منطقة كبيرة بها الكثير من السكان أو الأعراب بعضهم من العرب الرحل وهم الذين ينتقلون من مكان إلى آخر وراء أغنامهم بحثا عن المرعى والماء وبعضهم يقيمون فى نجوع نائية «والنجع» قرية صغيرة حول عين أو عدد من عيون الماء كما سترى عندما نصل إلى «عين خالدة» .

محسن : ستكون فرصة للتعرف عليهم ، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم ، إنهم مجتمعات خاصة لها قوانينها وعاداتها ولكن هذه النجوع ليست على الطريق مباشرة . وسنضطر إلى

السير في الصحراء مدة طويلة إذا كنتم ترغبون في زيارة هذه النجوع .

هادية : طبعاً . وإلا .. فلماذا نقوم بالرحلة ؟ !

ممدوح : مادمت لاتشعرين بمتاعب القيادة في الصحراء فلن يهمك أن نذهب إلى آخر الدنيا ..

فضحكت « هادية » وقالت : ولِمَ لا .. أليس معنا أمهر سائق في الدنيا ؟ !

ابتسم الأسطى « على » وهو يشعر بالفخر ..

سارت السيارة بين ضحكات الأشقاء الثلاثة . ووزعت عليهم « هادية » الإفطار الذى كانت قد أعدته من قبل أكلوا وضحكوا وتمتعوا طويلا بمنظر الصحراء الصامت .. كان اللون الأصفر حولهم لايتغير ، ولكن التلال والرمال والزوابع الصغيرة التي يدور بعضها حول بعض هي التي تعطى الصحراء منظرا مميزا مهيبا ..

ومضى الوقت . وبدأت الشمس تشتد حرارتها شيئا فشيئا ..

وقال « ممدوح » : الحمد لله . اقتربنا من نهاية هذا الطريق وأعتقد أننا سوف نتوقف عند مفترق الطرق حتى تخف حرارة الشمس . ثم نتجه إلى طريق منخفض القطارة .

محسن : تماماً .. لقد أصبحت فعلا من الرحالة يا « ممدوح » ..

وفجأة صاحت « **هادية** » : انظروا انظروا ..

قال « **محسن** » : ماذا ؟ هل بدأت ترين السراب ؟ !

هادية : لا . أبداً : إنها أشجار ! .. مجموعة أشجار صغيرة متناثرة ودقق « محسن » النظر إلى الأفق البعيد .. ! وأخيراً قال « **محسن** » : هذا صحيح يبدو أننا قد اقتربنا فعلا من « بئر خالدة » .

ممدوح : وهل هذا شيء يحتاج إلى ذكاء . مادام هناك بئر ماء تكون هناك أشجار خضراء .. وفجأة نبح « عنتر » . وكاد يقفز من نافذة السيارة لولا أن أمسك به « محسن » . ونظروا إلى الخارج فإذا على البعد غزال جميل يجرى بسرعة هائلة .

وتنهد « **ممدوح** » وقال : هاهوذا الجمال الحقيقى .. الغزال الشارد الرشيق ..

قال « **محسن** » : يقولون إنه أشهى لحم يأكله الأعراب ..

هادية : هل تحاول صيد غزالة ..؟

محسن : « ممدوح » هو المختص بالصيد .

ممدوح : أنا ! هذا مستحيل ، من يستطيع أن يقتل هذا الجمال الحى .. إن الذى يصطاد الغزال لاقلب له ولا إحساس .

وضحكوا جميعا ، وقالت « **هادية** » : لقد بدأت حالة الشعر تصيب « ممدوح » !!

واقتربت السيارة وهى تسير ببطء لرداءة الطريق من مجموعة من أشجار النخيل المتناثرة ..

وقال « **على** » : يجب أن نتوقف هنا لقد اشتدت حرارة الشمس ويجب أن يبرد « موتور » السيارة .. ونستريح حتى تنكسر شدة الحرارة .

هادية : وطبعا نكى نأكل .. أليس كذلك

يا « ممدوح » !

ونبح « عنتر » نبحة عالية ، وضحك الجميع .

واقترب « على » من مجموعة صغيرة من الأشجار فروعها قليلة وأوراقها تميل إلى الاصفرار وانحرف بالسيارة ليوقفها وسط هذه الأشجار .

وقفزوا من السيارة يسبقهم « عنتر » وسرعان ماأخرجوا شمسية كبيرة تقف على أعمدة رفيعة من المعدن غرسوها براعة فى الرمال ، فألفت ظلا واسعاً ، وأحضرت « هادية » الثلاجة الصغيرة والطعام ، وتمددوا تحت المظلة يأكلون ويشربون . « وعنتر » يجرى ويقفز حولهم سعيدا .

فجأة انطلق « عنتر » إلى قلب الصحراء وهو يطلق نباحاً عالياً ، وصرخ فيه « ممدوح » : « عنتر » تعال هنا لو غبت عن عيوننا فستبلعك الصحراء ولن نراك مرة أخرى ..

وعاد الكلب الأمين وهو يواصل النباح ويدور فى حلقات واسعة !

قال « محسن » : ربما رأى غزالا شاردا آخر ..

٦ م

وأشارت « **هادية** » : بعيداً .. وقالت انظروا ..

صمتوا تماماً وتظروا بعيداً .. كانت هناك كتلة غير ظاهرة الملامح وشيئا فشيئا بدأ يظهر جمل كبير يحمل راكباً فوق ظهره وحماران يحملان أمتعة وعدد من الأولاد يجرون حول الحمارين وبعض الأغنام ..

محسن : إنهم أسرة من الأعراب .. انظروا كيف يلفون وجوههم فلا يظهر غير عيونهم .. ! إنهم يتحاشون الرمال .

ممدوح : هل تعتقد أنهم بعض العرب الرُّحَّل !

محسن : وماذا يكونون غير ذلك !

هادية : هل يقتربون منا ؟ أرجو ذلك !

محسن : لا .. انظرى .. لقد اتجهوا جنوباً يبدو أنهم وجدوا « بئر خالدة » جافة فاتجهوا إلى عين قطارة !

هادية : ربما .

اتكأ « ممدوح » على يديه ومد قدميه على الأرض وقال : ماالذى جرى « لعنتر » ؟ انظروا كيف يدور حول نفسه كالمجنون .

هادية : لعله مبهور بالصحراء فهى المرة الأولى التى يخرج فيها إلى رحلة صحراوية ! وعندما بدأت الشمس تتجه إلى الغروب كانت السيارة تخوض طريقها وسط رمال الصحراء فى طريقها إلى « بئر خالدة » وكان « محسن » يستعين بالبوصلة فى توجيه « على » الذى كان يحاول بكل جهده أن يتفادى الاصطدام بالتلال الكثيرة التى تحيط بهم أما « عنتر » فهو لم يكف عن النباح والدوران حول نفسه فى مكانه الضيق بالسيارة . وفكرت « هادية » هل يشعر « عنتر » بخطر قريب ويحاول أن يحذرهم منه .. وقبل أن تستغرق فى أفكارها نبح الكلب نبحة عالية ، واهتزت السيارة هزة عنيفة يميناً ويساراً ثم توقفت ، وإذا بطوفان من الرمال يثور حولهم ويغرق العربة من كل اتجاه ، وكأنها أمواج بحر هائج تضرب سفينة صغيرة ..

وأسرعوا يغلقون نوافذ السيارة ويثبتون أبوابها وغطاءها المصنوع من الجلد السميك ومع ذلك لم يمتنع صوت أزيز العاصفة الرهيبة التى قامت حولهم عن الوصول إلى أسماعهم

ولم تنقطع أمواج الرمال من الاصطدام بعربتهم ، والريح الصارخة التى تعوى وتزيح الرمال من حولهم فى طريقها كالإعصار المدمر ..

وبدأت « هادية » ترتعد ، فقد أخذ الظلام يحيط بهم ، وقال لها « محسن » مشجعا : هل أنت خائفة ؟ ألا تعلمين أن العواصف شىء عادى فى الصحراء وأنت مغامرة ورحالة فلماذا تخافين ؟ ! ..

قالت « هادية » فى همس : لم أكن أتصورها رهيبة هكذا .. إن الظلام يحيط بنا من كل جانب مع أنى متأكدة من أن الشمس لم تغرب بعد !

محسن : طبعا — لم تغرب الشمس ، وبمجرد أن تنتهى العاصفة سوف نراها مرة أخرى وفجأة ومرة أخرى اهتزت السيارة هزة عنيفة يمينا ويسارا ثم استقرت فى مكانها والعاصفة حولها تشتد وتتصاعد ..

وابتسم « ممدوح » ابتسامة مرهقة وقال: هذا ترحيب حار من الصحراء بنا. واستدار إلى « عنتر » الذى كان مايزال ينبح

فى مكانه وصرخ فيه : كفى يا « عنتر » كفى . أنت تثير أعصابى .

قالت « هادية » : لقد كان نباحه إحساسا منه بهذه العاصفة ، ترى لماذا ينبح الآن ؟

تنهد الأسطى « على » وقال : إن ما أفكر فيه حاليا هو كيف نخرج السيارة من الرمال ؟

محسن : أما ما أفكر فيه أنا فهو لماذا تهتز السيارة هذه الهزات العنيفة ، مع أن المفروض أنها قد غرست فى الرمال ..

وظلوا صامتين ينظرون إلى العاصفة من خلف الزجاج فى دهشة شديدة . فقد كانت شيئا غريبا أقوى من كل ماتصوروه من قبل ..

وكما بدأت العاصفة فجأة هدأت فجأة ... وانقشعت الرمال وظهرت الشمس وصفا الجو . ولم يعد أمامهم إلا الصحراء المنبسطة التى تخفى أسرارها بين رمالها .. كما تخفى عواصفها ..

وانتظر « ممدوح » حتى تأكد من أن العاصفة قد انتهت

تماما . ثم قفز من السيارة ودار حولها ، ثم أطل برأسه داخلها وقال : الحمد لله إن الهزة التى حركت السيارة منعتها من الغوص فى قلب الرمال . . سنزيح بالجاروف من حول العجلات بعض الرمال ، ثم نواصل رحلتنا على الفور . . وبحماسة قفز الثلاثة ومعهم الأسطى « على » ، وأمسك كل منهم جاروفا ، وأخذوا يزيلون الرمال بنشاط من حول السيارة وجلس « على » أمام عجلة القيادة وبدأ تحريك السيارة و « محسن » و « هادية » و « ممدوح » يدفعونها بكل قوة حتى قفزت فوق الرمال وبدأت الحركة . . أسرع بها « على » قليلا ، فجرى المغامرون الثلاثة وراءه ، ثم أبطأ من سرعته وقال « ممدوح » ضاحكا : أليس الجرى فى الصحراء ممتعا . .

وهجمت عليه « هادية » فى اللحظة التى صاح فيها « محسن » : انظروا . . انظروا هناك . .

وكان منظراً غريباً . . عشرات من الناس تجرى وتتصايح وينادى بعضهم بعضها ، وقد حمل كل على كتفه حملا

وشاهدوا بعيداً جملاً كبيراً يحمل راكباً وبجواره حصانان أبيضان

خفيفاً أو ثقيلا . ولكنهم يجرون بكل قوتهم .. وكأن هناك من يطاردهم .. فيرتفع صوت صراخهم وبكائهم .. ويزيد من قوته فراغ الصحراء الذى يجعل الصوت يصل إلى أبعد مدى ..

وبدون أى كلمة .. اندفع « على » نحوهم بالسيارة .. حتى اقترب تماما منهم وتوقف . وصرخت « هادية » فى فزع : انظروا ! إن فيهم بعض الجرحى !

كانوا مجموعة من الأسر .. شيوخا وشبابا وأطفالا .. وكلهم يجرون وهم يحملون أحمالهم .. وكأنهم يهربون من الشيطان .

قفز « ممدوح » قريبا منهم وسأل أحدهم : ماذا حدث ؟

لم يتكلم أحد .. بل أخذوا ينظرون إليه فى شك .. توقفوا . واقترب بعضهم من بعض ولم يرد واحد منهم على أسئلة « ممدوح » المتكررة !

وبدون تردد أمسكت « هادية » حقيبتها الطبية .. وقفزت من السيارة واقتربت من أحد الجرحى .. كان طفلا محمولا

على ظهر أمه .. أمسكته « هادية » بكل رقة وقالت : يجب أن تطهر الجرح حتى يتوقف النزيف !

ولم تهتم بخوف الأم الذى بدا فى نظراتها ، وإنما أمسكت بالقطن والميكروكروم وبدأت تطهر الجرح وتربطه .. وعندئذ توقف النزيف .. وتوقفت قطرات الدماء التى تسيل على ظهر الأم .

وطلبت من « محسن » أن يحضر فراشا واسعا ، وضعت عليه الطفل الجريح ، ونظرت إلى آخر .. وقالت : هيا ساعدنى !

وكان الأعراب فى ذلك الوقت قد توقفوا فى شبه دائرة حول المغامرين الثلاثة الذين بدءوا يعملون فى صمت فى علاج الجرحى ، وربط جراحهم وتطهيرها .. حتى إذا أتموا مهمتهم وقفوا فى مكانهم .. ونظر الثلاثة إلى القبيلة المحيطة بهم .. وقال « ممدوح » بابتسامة كبيرة : هل هناك خدمة أخرى يمكن أن نؤديها ؟ !

نظروا إليه .. وظلوا صامتين .. احتار « ممدوح » ونظر إلى

شقيقه حائرا .

قالت « هادية » بصوت خافت : لست أدرى ماذا جرى لهم .. أهم لايتكلمون العربية ، أم أنهم خائفون منا .. كنت أرجو أن نكون قد نلنا ثقتهم بعد مافعلناه !

وفجأة تحرك « شيخ عجوز » ، وتقدم من الأولاد وقال : نشكركم كثيرا على مافعلتموه معنا ، ولكن هل يمكن أن تتموا جميلكم ، وتنقلوا هؤلاء الجرحى إلى هذا النجع !

وأشار بأصبعه جنوبا .. ولم يكن هناك أى نجع ظاهر فى الصحراء ! واقترب الثلاثة يتشاورون ، وتساءلوا هل يتركون الخطة التى رسموها لرحلتهم ويتوجهون مع هؤلاء الناس إلى حيث يذهبون ..

وقالت « هادية » : أعتقد أن هذه حالة إنسانية وضرورة لابد منها ، فكيف نترك هؤلاء الأطفال الجرحى المساكين !

تقدم « ممدوح » من الشيخ وقال : تحت أمركم .. لقد كنا متجهين إلى « بئر خالدة » ولكننا على كل حال سنوصلكم قبل ذهابنا ثم نعود !

وصرخت « الأعرابية » الأم التي ضمدت « هادية » جراح ابنها : لا .. لا .. لاتذهبوا إلى هناك .. لاتذهبوا إلى هناك !

وصرخ شيخ فيها : اصمتي .. ثم اتجه إليهم وقال : شكراً لكم .. وهيا بنا .. سيسير هذا الجمل أمامكم . إنه يعرف الطريق جيداً !

تبادلوا النظرات في صمت .. واتجهوا إلى السيارة .. وقفزت « هادية » إلى كبينة السيارة من الخلف ، كانت سيارة الجيب متسعة جداً .. ولها مقعدان متقابلان من الداخل كبيران أعدتهما « هادية » .. وبدأت تساعد الأطفال على الركوب ، حتى اطمأنت إلى أنهم يجلسون بطريقة مريحة . ثم جلست بينهم ..

وبدأت السيارة تتحرك وراء الجمل .. وقال « **علي** » : هل تسير على خطوة هذا الجمل ؟ !

محسن : لاتسخر من الجمل ، ستجد أنه يسير في الصحراء أسرع منك !

هذا ماحدث . فقد كان « علي » يحاول جاهداً أن يدرك الجمل الذي يجري بخفة ورشاقة في حين تسير السيارة وسط الرمال بكل جهد ومشقة ..

أما « هادية » فقد أخرجت علبة من الحلوى وأخذت توزع منها على الأطفال .. بدءوا يأنسون لها ويطمئنون إليها .. وسألتهم : أين تذهبون الآن ؟

قال أحدهم : إلى نجع خالي « عمّار » !

هادية : ولماذا تركتم النجع الذي تقيمون فيه ؟

وفجأة انفجروا يبكون بطريقة هستيرية ، وتمسك بعضهم ببعض في رعب شديد ، وصرخ أصغرهم وهو ينظر إليها : الزلزال .. الزلزال ..

وكانت مشكلة .. لم تستطع أن تجعل الهدوء والسكينة يعودان إليهم إلا بعد جهد شديد وجلست بينهم في حيرة وعادوا هم إلى الانكماش والجلوس في صمت كامل ..

ومضى حوالي ساعتين وسط الرمال الناعمة الصفراء .. والحرارة الشديدة .. وجو التوتر الذي يسود الجميع .. وفجأة

أشار راكب الجمل بيده إلى بعيد.

ونظر «على» لم ير شيئاً فى البداية .. ثم بدأت تلوح له مجموعة من الأشجار .. أطراف أشجار .. ثم تتضح الرؤية كلما اقترب .. حتى ظهرت الخيام الملونة الكبيرة .. ومرة أخرى أشار له «راكب الجمل» أن يتوقف ..

وقف «على» بالسيارة بجانب الجمل .. وقال له «الراكب»: انتظرونى هنا .. لن أتأخر عليكم كثيراً ..

وتحول «ممدوح» و «محسن» ينظران إلى داخل السيارة .. كانت «هادية» حائرة وسط الأطفال .. وإن كان أكثرهم قد استغرق فى النوم ..

قال **ممدوح**: هربنا إلى الصحراء .. لنهرب من المغامرات فإذا بها تسبقنا!

محسن: ومن يدرى؟! إن قلبى يحدثنى أننا سنواجه مغامرة من أغرب وأدق المغامرات التى صادفتنا فى كل حياتنا

ممدوح: إن كل مهمتنا الآن أن نسلم هؤلاء الجرحى ..

ثم ننطلق عائدين لنتم رحلتنا كما خططنا لها.

هادية: وهل هذا معقول؟ هل نمضى بدون أن نعرف الحقيقة وراء هؤلاء البؤساء المساكين.. ولماذا تركوا ديارهم؟! ولماذا يرتعدون من الخوف؟!

وفجأة ظهر «راكب الجمل» عائداً مرة أخرى. اقترب منهم وقد ظهرت على وجهه علامات الحيرة الشديدة.. وقال: هل يمكن أن تنتظروا معى حتى يحضر باقى القوم؟!

ممدوح: لماذا؟ ألن ينزل هؤلاء الأولاد هنا؟!

صمت الرجل وكأنه يخشى الحديث.. ثم قال: أعتقد أنه لن يمكنهم البقاء هنا أيضا.

محسن: لماذا؟

الرجل: لأن.. لأن قبيلة «عمَّار» سترحل أيضا!

محسن: ماالذى يحدث هنا.. لماذا ترحلون؟

الرجل: لا.. لايمكن أن أخبرك.. لاشىء.. ولكننا نرحل هذا كل ماأستطيع أن أخبرك به..

تقدمت «هادية».. وسألت بهدوء: هل يرحلون الآن؟

الرجل : غداً .. صباحاً !

هادية : إذن على الأقل يمكنهم أن يقدموا طعاماً لهؤلاء الأولاد المساكين .. إن طعامنا لن يكفيهم !

الرجل : أعتقد أن هذا ممكن .. سأحدث عمى الشيخ « عمّار » فى هذا الأمر .. !

وانطلق عائداً إلى خيام القبيلة ..

قالت « **هادية** » للأسطى « على » : اقترب وراءه يا « على » ، اقترب إلى أقرب مكان ممكن .. يجب أن نعرف ماذا يجرى هنا !

اقترب « على » بالسيارة حتى وصل إلى قرب الخيام وأصبحوا فى موقع يستطيعون أن يروا منه مايحدث داخل القبيلة .

كانت مجموعة كبيرة من الخيام . بعضها صغيرة وبعضها كبيرة .. والبعض الآخر متناثر بعيد بعضه عن بعض . ولكن كانت هناك حركة واضحة . كانوا يجمعون أمتعتهم ويرتبونها استعداداً للرحيل .. وكان من الواضح أنهم يفعلون ذلك

مرغمين فقد كانت سيدات القبيلة تجمع الأمتعة وسط البكاء والنواح !

وأخيراً عاد « **الرجل** » وقال : إنهم يعدون الطعام . ويرحبون بكم أيضاً ويدعونكم إلى مشاركتهم فى أكلة بدوية ..

وسأل « **ممدوح** » : هل نبقى طويلاً ؟ !

ولم يرد « الرجل » ، ولكن عينيه كانتا تتوسلان إليهم أن ينتظروا معهم !

وبدءوا ينقلون الجرحى إلى بساط كبير وضعوه وسط الخيام .. وبعد قليل كان الأولاد الصغار الجرحى يجلسون وسط مجموعة كبيرة من أصدقائهم .. وأخذوا يتحدثون بلهجة سريعة جداً .. لم يستطع المغامرون الثلاثة أن يفهموها .. فنظر بعضهم إلى بعض .. وتفاهموا بالنظرات بسرعة .. جلسوا وسط الصغار وأخذوا يتحدثون معهم .. ووصل الطعام ..

كمية كبيرة من اللحم المشوى اللذيذ ، فشاركوهم

الطعام .. ولم يتحدثوا إطلاقا عن رحيلهم عن بيوتهم .

وقال « ممدوح » لهم : هل تحبون الصور ؟ من منكم يريد أن أصوره صورة يأخذها منى بعد دقيقة ؟ !

وتصايح الأولاد .. أنا .. أنا .. أنا .

أسرع « ممدوح » إلى السيارة وأحضر منها الكاميرا الحديثة التى يمكنه أن يلتقط بها الصورة ، وتظهر واضحة فى خلال دقائق ..

أجلسهم متجاورين . والتقط لهم صورة ثم انتظر قليلا وأخرجها من الكاميرا .. وما إن رآها الأولاد حتى أخذوا يقفزون من الفرحة . وكل منهم يشير إلى نفسه فيها . والتفوا حول « ممدوح » وكل منهم يطلب منه أن يصوره صورة خاصة بمفرده .. وضحك « ممدوح » وقال لهم : حسنا .. حسنا .. سأصور كل منكم صورة .. ولكن يجب أن تختار مناظر جميلة لتقفوا فيها .. فليختر كل منكم له مكانا .

وأخذوا يجرون فى كل مكان بحثا عن موقع يختاره كل منهم ليكون خلفية لصورته التذكارية .

ابتسم « **محسن** » وقال : سيصبح « ممدوح » صديقا للجميع فى أقرب وقت !

هادية : عسى أن يستطيع معرفة مايحدث حولنا !

ونظر « محسن » إلى الشمس .. كانت قد بدأت تميل إلى الغروب . واستند إلى جذع شجرة وأخذ ينظر إلى الحركة من حوله وقال : المنظر ساحر .. ولكنه غريب .. انظرى إلى هذه الأمتعة التى يعدونها .. وإلى الدموع فى عيونهم .. أليس هذا غريبا ؟

هادية : ومع ذلك تقول إننا سنعود إلى طريقنا المرسوم .. هل هذا معقول ؟

محسن : غير معقول .. وغير ممكن أيضا . فلن يمضى وقت طويل حتى نغرق فى الظلام ..

هادية : إذن سنبيت هنا الليلة !

محسن : ونرحل معهم فى الصباح !

وبدأ النسيم العليل يتلاعب فى الجو .. وقالت « هادية » وهى تستند على جذع الشجرة : أشعر أننى سأستغرق فى النوم !

محسن : انتظرى يجب أن نعرف أين ننام الليلة ؟ هل ننصب خيمتنا . أو يستضيفونا هنا ! ؟

هادية : هل تتصور أننى مستغرق فى النوم فعلا !

وفى هذه اللحظة بدأت أصوات ضجة تقترب وانتبه « محسن » و « هادية » كان أهل النجع الأول يقتربون .. وهم مازالوا فى نواح وبكاء وعويل .

وفجأة وجد الأولاد أنفسهم وسط معمعة غير متوقعة . فقد ارتفع صوت أهالى النجع الذى يجلسون فيه يستقبلون القادمين بالصراخ والبكاء .. واختلط القادمون بالحاضرين .. وزادت الضجة من الحيرة التى وجد الأولاد أنفسهم غارقين فيها .

ومضى وقت طويل قبل أن تهدأ الضجة ويسود السكون الصحراء والنجع والناس ..

اقترب « الرجل » الذى صاحبهم فى حضورهم . وأخبرهم أنهم قد أعدوا لهم خيمة ليبيتوا فيها ليلتهم . وأشار إلى خيمة كبيرة نظيفة مفروشة بالسجاد والمراتب وقريبة من

المكان الذى تقف فيه السيارة !

شكره « محسن » ، وأخبره أنهم ينتظرون شقيقهم الثالث « ممدوح » الذى ذهب ليصور الأولاد .. وكانوا قد لاحظوا أنهم يعودون واحدا بعد واحد ومع كل منهم صورة يجرى إلى خيمته ليريها أهله . .

ومضى وقت طويل . . وغرق الكون فى الظلام فيما عدا بعض النيران المتناثرة أمام الخيام . وقبل أن تتكلم « هادية » لتعبر عن خوفها من تأخر « ممدوح » إذا به يقف أمامها .. وكان وجهه ينطق بأنه يحمل أخباراً خطيرة .. وفى يده ولد فى العاشرة من عمره قدمه لهم قائلا : إنه صديقى « ياسر » .. سيعود ليصطحبنى بعد قليل إلى جولة ليلية !

وجرى « الولد » وفى يده الصورة وقال : سأ[illegible] فى الموعد تماما .. !

وأسرع « ممدوح » يجلس بينهما قائلا : عندى أخبار خطيرة أريد أن أتكلم معكم بشأنها ولكن بدون أن يسمعنا أحد .

أشار «محسن» إلى الخيمة وقال: هيا بنا!

وفى داخل الخيمة قال لهم «ممدوح» هامسا: اسمعا.. يجب أن ننسى تماما خطتنا فى الرحلة التى كنا قد قررنا القيام بها. ستتغير الخطة.. لن نترك هؤلاء الناس وحدهم أبدا.

همست «هادية»: تحدث بسرعة. أخبرنا أولا ماذا تعرف؟!

ممدوح: لقد استطعت بعد مجهود جبار أن أحوز ثقة هذا الصغير «ياسر».. وبعد محاورات كثيرة أخبرنى بشىء لايصدق.. إنهم سيهجرون أرضهم غدا قبل أن يأتى زلزال كبير يهز الأرض ويدمرهم كما حدث مع أهالى النجع الذى تقابلنا معهم وأخبرنى أنهم ليسوا أول ناس يهجرون أراضيهم فقد سبقهم نجع آخر.. أى أن هذا النجع هو الثالث.. وقد سألته كيف عرفوا بأمر الزلزال فأخبرنى أن أهالى النجع الأول جاءهم إنذار فاستسلموا وهجروا أرضهم على الفور. أما النجع الثانى فقد رفضوا الخروج من أرضهم فحدث الزلزال الذى دمر الخيام والشجر وأهال الرمال على رؤوسهم..

لذلك فإن أهالى هذا النجع قرروا الهجرة قبل أن يحدث الزلزال.

محسن: هذا غريب ألم يخبرك «ياسر» كيف يأتى الإنذار بالزلزال!..

ممدوح: إنه لايعرف.. قال لى فقط إن شيخ القبيلة أخبرهم أن عليهم الرحيل، وقد قرروا طاعته!

هادية: الغريب فى الأمر أننى قرأت كثيرا عن الزلازل ولكنى لم أعرف قط أن الصحراء الغربية هذه عرضة للزلزال أو أن الزلزال يحدث فى كل نجع على حدة!

محسن: والأغرب من ذلك أن الزلزال يرسل إنذارا لشيخ القبيلة.

هادية: وماالعمل الآن؟

ممدوح: إننى لم أخبركم بباقى القصة.. لقد أخبرنى «ياسر» أن رؤساء القبائل فى الصحراء كلها قرروا اللقاء الليلة فى خيمة أحدهم على أطراف النجع التالى والقريب من «عين قطارة» وقد وعدنى «ياسر» بأنه سيصطحبنى إلى هناك

بعد خروج الشيخ « عمار » من هنا وقد وعدته بأن أصوره عشر صور كاملة . وربما أستطيع أن أعرف شيئا في هذا الاجتماع .

هادية : وهل تذهب وحدك ؟

وهنا قفز « عنتر » واقفا وكأنه يستعد للذهاب فقال « ممدوح » : لا ليس اليوم يا « عنتر » .. كلاب الحراسة كثيرة في الصحراء وقد تشتبك معها وتفسد مهمتى !

محسن : سنكون في أشد حالات القلق عليك !

الأسطى « على » : لن أسمح لك بالذهاب وحدك .. فأنا هنا مسئول عنكم !!

ممدوح : اطمئنوا ! ليس في هذه الرحلة أى خطر إنهم أناس طيبون جداً وبؤساء جداً !

وأسرع « ممدوح » إلى السيارة فأحضر بطاريته واستعد جيدا وقال : هيا نجلس أمام باب الخيمة حتى يعرف « ياسر » مكانى !

جلسوا يتحدثون أمام الخيمة وقالت « هادية » : فهمت

الآن لماذا كان « عنتر » ينبح قبل هبوب العاصفة ، إن الكلاب دائما تشعر بالزلازل قبل حدوثها .

ممدوح : لقد كان الزلزال هو الذى جعل سيارتنا تهتز أكثر من مرة .. ولذلك لم تغرس عجلاتها في الرمال .

هادية : أنا لا أتصور زلزالا ينذر الناس قبل حدوثه !

محسن : خصوصا أنه ليس هنا أى آلات إليكترونية تنذر بالزلازل .

ممدوح : لا تنسوا أنه زلزال متنقل .. ينتقل وراء الناس من مكان إلى آخر ! ..

محسن : أمر غامض .. غامض تماماً !

هادية : وهكذا القضايا الغامضة تطاردنا حتى وسط الصحارى !

ممدوح : فكرى يا « ملكة التخطيط » !

ونبح « عنتر » ووقف مستعداً . ونظروا كان « ياسر » يقف قريبا وأسرع إليه « ممدوح » قال « ياسر » هل أنت مستعد ؟ لقد خرج الشيخ « عمار » وابنه الآن هل نذهب

وراءهم !

ممدوح : طبعا .. هل أنت خائف !

ياسر : أنا .. إننى أقلب الصحراء كلها طوال الليل وأعود كالشياطين !

ممدوح : حسنا .. هيا بنا !

وكأنهما شبحان غامضان . اخترقا الظلام وسارا سريعا فى قلب الصحراء .. ولم تمض لحظات حتى كانا قد غابا عن عيون « محسن » و « هادية » وينبح « عنتر » نبحة عالية .

وربت « محسن » على ظهره ليصمت .. ونظر إلى شقيقته ونظرت إليه وعبرت نظراتها عن الخوف العميق ..

ترى ماالذى يمكن أن يحدث « لممدوح » وهو يمضى فى مكان غريب لم يزره من قبل ولايعرفون فيه أى اتجاه أو طريق .. متى يعود وهل يتأخر .. وإذا عاد فهل يأتى ومعه مايزيح الغموض عن لغز هذه الزلازل الغريبة ..

وأخذت هذه الأفكار تعصف برأس الشقيقين حتى قال « محسن » : أخيرا اذهبى أنت إلى النوم أما أنا فسأبقى مع

الأسطى « على » و « عنتر » لحراسة السيارة من يدرى فقد تغرى الأولاد أو الغرباء بالتسلل إليها .

هادية : هل توقظنى إذا عاد « ممدوح » ؟

محسن : طبعا .. هيا إلى النوم .. وسيحرسنا جميعا « عنتر » !

ومضت « هادية » إلى داخل الخيمة .. ولكن النوم .. أين هو النوم ؟ ! هل يزور جفنيها وهى تشعر بكل هذا القلق حول شقيقها « ممدوح » ؟ !

وكان « ممدوح » يمضى كالفارس الشجاع وسط الصحراء .. والمجهول !

ودقت أجراس الخطر ! . .

عامر

لم تدر « هادية » كم مضى من الوقت وهى تحاول النوم . فقد أخذت الأفكار السوداء تقتحم أفكارها وتذكرت كل الأخطار التى حدثت فى الصحراء . ومصير كل من حاول غزوها . . تذكرت جيش « قمبيز » الذى أرسله من طيبة – الأقصر حاليا – ليغزو واحة سيوه ويؤدب أهلها ، ولكن عواصف الصحراء قضت تماما على الجيش المكون من خمسين ألف محارب ودفن فى رمال الصحراء ، وبرغم مرور أكثر من ٢٥٠٠ سنة على هذا الغزو فإن « سيوه » مازالت تحتفظ بسره الذى لم يعرفه أحد حتى الآن . فهل يحدث ياترى « لمدوح » ماحدث لجيش

« قمبيز » ؟ !

وأخذت الخواطر الكئيبة تحيط بها : إن أشهر جبل فى المنطقة اسمه « جبل الموت » ياله من اسم كئيب ! لقد أطلقوا عليه هذا الاسم لأنهم عثروا فيه على مقابر فرعونية قديمة قدم الزمان . . لماذا لاتتذكر الآن إلا هذا الاسم ؟ إن فى الصحراء أماكن أخرى جميلة . . ومناطق رائعة . . النخيل . . والزيتون . . والآثار القديمة فلماذا لاتتذكر الآن إلا الخطر والموت . . ؟ !

ومضى الوقت ثقيلا . . ثقيلا . . ولعل « هادية » قد استغرقت فى النوم وسط هذه الأفكار القاتمة . ولكنها فجأة شعرت بكل أعصابها تنتبه . . لقد أحست بحركة فى الخيمة ، ولم تفتح عينها . . انتظرت لتتأكد . . وتأكدت . . كانت هناك يد تمتد بجوارها ، وفكرت لعله « محسن » جاء ليوقظها ولكنه . . لا . . إنه لن يتسلل هكذا . .

وشعرت باليد تقترب من فراشها شيئا فشيئا وتندس تحت غطائها شيئا صغيراً . ولم تنتظر أكثر من ذلك فقفزت « هادية »

جالسة ، وقبضت بسرعة على اليد التي تحت الغطاء ، وسمعت صرخة صغيرة .. ونظرت « هادية » إلى صاحب اليد .. وتركتها في الحال .. كانت طفلة صغيرة ، واحدة من الجرحى التي رعتها وضمدت جراحها .. وكانت عيونها الواسعة السوداء الجميلة تنظر إلى « هادية » في خوف شديد .

قالت لها « هادية » في دهشة : ماذا تفعلين هنا ياصغيرتي ؟

أشارت الصغيرة بيدها إلى الشيء الذي دسته تحت الغطاء وقالت : لقد أردت أن أشكرك ، فأتيت إليك بهذه الهدية ، إنها لعبتي التي ألعب بها !

أمسكت « هادية » بالهدية ، كانت تمثالا صغيرا من الطين . أشعلت مصباح الغاز وابتسمت في وجه الصغيرة وربتت شعرها .. كان طويلا ، وقد صنعت منه ضفائر رفيعة وعديدة مثل فتيات الواحات وقبلت الطفلة .. وشكرتها وأعطتها بعض الحلوى ..

أخذت « هادية » تفكر في بساطة هذه الطفلة واهتزت عواطفها لهذا التصرف البريء العظيم . وقامت من فراشها

وخرجت إلى خارج الخيمة لتخبر « محسن » بما فعلته الصغيرة .. ولكن « محسن » لم يكن بالخارج ، ودارت حول الخيمة وتفقدت السيارة .. لا أثر « لمحسن » ولا « عنتر » أين ذهب هو الآخر ؟!

وهل يتركونها وحيدة ؟! كان الظلام يحيط بالمكان والأسطى « علي » يغط في نوم عميق .. خشيت أن تسير فتضل طريقها ، فعادت إلى داخل الخيمة .. جلست بجوار المصباح الغازي .. وأخذت تتأمل لعبة الطفلة الطينية ، وكانت تمثل تمثالا كأنه الكاتب المصري القديم ، وحملته في يدها ، وشعرت بأن في التمثال شيئاً غريباً ، وحركته في يدها وهي تحاول أن تجد ماهو الغريب فيه ! في الحال اكتشفت أن التمثال ثقيل — أثقل من أن يكون من الطين ، ولمعت في خاطرها فكرة .. وأسرعت تخرج من جيبها المطواة الصغيرة التي تحتفظ بها لفتح المعلبات ، وبدأت تزيل الطين .. واستجاب لها بعد قليل فقد كان صلبا على غير العادة وأخذ الطين يتناثر لتظهر تحته قطعة لامعة صفراء ، لامعة براقة ،

قطعة بلاشك من الذهب الخالص ..

وذهلت « هادية » .. كان تمثالا ذهبيا ثمينا .. مغطى بطبقة سميكة من الطين ، ترى هل يعرف الأطفال الذين يلعبون به هذه الحقيقة ؟ ومن أين أتوا به .. أين « محسن » .. ؟ أين « ممدوح » إنها تريد أن تخبرهم بهذا الاكتشاف الخطير ..

وسمعت همسا قادما ، فأسرعت تخبئ التمثال تحت المرتبة الموضوعة على الأرض ونظرت إلى ساعة يدها ، كانت تقترب من الثالثة .. ترى من القادم ؟ واضطرب كل جزء في جسمها .. ولكن رأس « عنتر » الذي امتد من باب الخيمة أعاد الطمأنينة إلى نفسها . ومن ورائه كان « محسن » ثم « ممدوح » .. وصاحت « هادية » صارخة : أين كنتم ؟

محسن : لقد تأخر « ممدوح » ، وشعرت بالقلق ، فتجولت باحثا عنه .. ومن حسن الحظ أنني قابلته عائدا .

ممدوح : المهم الآن ماأحمله من أخبار .

هادية : تحدث بسرعة .

كانوا مجموعة من الأسر شيوخا وشبانا وأطفالا وكلهم يجرون وهم يحملون أمتعتهم

ممدوح : باختصار .. لقد سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا إلى خيمة كبيرة بين مجموعة من النخيل قرب عين من العيون .. وهى على سفح جبل لم أره أو أتوقع وجوده .. وكان عدد المجتمعين فى الخيمة كبيرا ، فقد تسللت ونظرت من أحد الشقوق .. للأسف الشديد أننى لم أستطع أن أفهم اللغة التى يتحدثون بها .. إنها سريعة جداً وكأنها اللغة النوبية ولكنى فهمت من تعبيرات وجوههم ، ومن كلمات قليلة استطعت أن أسمعها .. أن هناك خطرا يهدد كل النجوع فى الصحراء وكان أحدهم يتكلم والجميع يهزون رؤوسهم موافقين ماعدا « عامر » ابن الشيخ « عمار » الذى كان يقف معترضا بين وقت وآخر ، ومهددا بكلام لم أفهمه ، ولكن أباه كان يأمره بالسكوت .. ثم أخذوا الأصوات على شىء لم أعرفه ، وعندئذ خرج « عامر » غاضبا وهو يخرج مسدسا من جيبه ، وجرى خارج الخيمة ثائرا .

وعندما بدءوا يتركون الخيمة أسرعت أنا و « ياسر » عائدين وسألته عن معنى الذى حدث فهز رأسه وقال : إن

« عامر » يرفض الرحيل على عكس الباقين جميعا الذين وافقوا ، وإن شيخ المشايخ قد وافق على أن يترك للشيخ « عمار » مهلة اليوم كله حتى يقتنع ابنه بالرحيل .. ولم أعرف منه أكثر من ذلك ..

نظر بعضهم إلى بعض فى صمت ثم قالت « هادية » أنا : أيضاً عندى بعض الأخبار الهامة . انظروا .. وألقت التمثال الذهبى بين أيديهم وبهتوا وحملقوا فيه بذهول .. وقصت عليهم « هادية » ماحدث !! غرقوا فى أفكارهم قليلا ثم سأل « ممدوح » : ماهو تفسير كل هذه الأحداث !

هادية : عندى تفسير لها .. سأخبركم به فى الصباح ، ومادام معنا يوم آخر قبل الرحيل فسيكون عندنا الوقت المتحرك ..

واستلقى كل منهم على فراشه ، ووضعت « هادية » المصباح بجوار فراشها ، وأخرجت كتابا واستغرقت فى القراءة .. حتى غلبها النوم .

واستيقظت على ضوء الشمس الذى يغمر المكان ، وكان

شقيقاها فى انتظارها يجلسان بجوار فراشها فى سكون .. وقفزت جالسة .. قالت « هادية » : سأعد الإفطار فورا .

أجاب « ممدوح » : وهل كنا ننتظر بدون طعام حتى الآن ؟ هيا إلى عين الماء لتغسلى وجهك .. الطعام جاهز هنا .

ونظرت إلى جانب الخيمة .. كان اللبن الطازج مع الجبن والتمر والعيش الساخن فى انتظارها .. فى لحظات عادت وقد استردت كل نشاطها . قالت وهى تتناول الطعام : لقد أصبحت عندى نظرية لما يحدث هنا .

محسن : وأنا أيضا ولكن تحدثى أنت أولا .

هادية : كنت أقرأ فى كتاب عن تاريخ الواحات ، ولقد عرفت أن الإسكندر الأكبر قد اختار نفس الطريق هذا ليزور الإله « أمون » فى واحة سيوه .. وقد ضل الطريق مدة سبعة أيام فى هذه الأماكن حتى نجح فى الوصول إلى هناك وأعتقد أن بعض الكنوز قد فقدت منه فى الصحراء هنا فى هذه المنطقة ، الدليل على ذلك هذا التمثال الذهبى ومن الممكن أيضا أن تكون هذه المنطقة مليئة بالذهب وأن الأهالى

القدماء كانوا يصنعون منها التماثيل ويخلطونها بالطين المهم أن فى الصحراء الآن ثروة ذهبية ضخمة وأيضا ، فيها حاليا عصابة خطيرة تحاول الاستيلاء على هذا الذهب ..

ممدوح : كيف ؟

هادية : إن العصابة على مستوى عال جداً ، إنها تستعمل الأجهزة الإليكترونية الخطيرة لتسبب الزلازل فى المنطقة التى تريدها حتى تخيف الأهالى فيرحلون عنها تاركين لها المكان لتبحث عن الذهب بدون أن يراها أحد .

ممدوح : هل هذا ممكن ؟ ! ..

محسن : طبعا . وأنا متفق مع « هادية » فى كل ماتقول ، وكان هذا رأيى الذى سأخبركم به وقد قرأت كثيرا عن تأثير الإليكترونيات على الطبيعة ، وطبعا تعرفون أنه أمكن صناعة مطر صناعى فلماذا لاتكون هناك زلازل صناعية ..

هادية : هذا مافكرت فيه .

ممدوح : والحل يا « ملكة التخطيط » ! ؟

هادية : هناك طريقتان الأول والأسرع أن نتصل لاسلكيا

بالمفتش « حمدى » ، أما الثانى فسأخبركم به إذا لم تنجح فى الاتصال بالشرطة !

محسن : ليس لدينا وقت نضيعه هيا يا « ممدوح » لقد أكلت مايكفى جملا اليوم ، تعال نتصل بالمفتش « حمدى » .

أسرع الثلاثة إلى السيارة الجيب وأخرج « ممدوح » جهاز اللاسلكى وأعده للاستعمال وأخذ يوجهه إلى الموجة المتفق عليها .. ونادى ولكن صوتا لم يستجب له .. نظر إلى شقيقه فى دهشة .. تقدم « محسن » وأخذ يجرى استعمال الجهاز ولكن أحداً لم يرد عليه ، إلا بعض أصوات كأنها صفير الرياح !

ممدوح : الجهاز لايعمل ..

محسن : لا .. ولكنه يقع تحت منطقة من التشويش — فلا يمكن أن تتحدث أو تسمع منه .

ممدوح : والعمل ؟ !

هادية : الخطة الثانية ، علينا بالاتصال بالشاب الثائر

«عامر» ، وأن نقنعه بأن يساعدنا فى القضاء على هذه العصابة بأنفسنا .

محسن : هل تعتقدين أنه سيوافق ؟

هادية : ليس أمامنا حل آخر .

قفز «ممدوح» واقفاً وقال : انتظرونى ، سأحضر «ياسر» ، وأقنعه بأن يذهب معى إلى «عامر» .

محسن : وأنا سأحاول إصلاح اللاسلكى .

أخذت «هادية» تنظر إلى «ممدوح» وهو يبتعد وتفكر هل ينجح فى الاتصال بابن شيخ القبيلة وانتبهت على صوت «محسن» وهو يقول : سأترك اللاسلكى مفتوحا فقد يذهب التشويش ونستطيع الاتصال بالمفتش «حمدى» .

ولم يمض وقت طويل حتى كان «ممدوح» يقترب عائدا من السيارة ومعه الأسطى «على» و«عامر» . . وكان وجه «ممدوح» متفائلا فى حين أن الشاب تظهر على هيئته علامات الثورة الشديدة .

قال «ممدوح» وهو يقدمه إلى شقيقه : لم أجد أية مشقة

فى إقناع «عامر» بالتفاهم معنا ، إنه مستعد للتعاون.

عامر : طبعا أنا تحت أمركم فى أى عمل ننقذ به اسمنا وأهلنا وأرضنا ..

إن أهلى كلهم شجعان ، ولكنهم لايستطيعون مواجهة هذه الزلازل ، فهى شىء لايحارب .

محسن : طبعاً ولكننا نستطيع مواجهة من يصنع الزلازل . سأوجه إليك بعض الأسئلة فهل تجيب عنها ؟ !

عامر : تحت أمرك ..

محسن : كيف تصل الإنذارات إلى القبائل ؟

عامر : رجل أعرابى فقير راعى غنم ، يحضر إلى شيخ القبيلة ويطلب منه الرحيل مع قبيلته وإلا هدمت الزلازل بيوتهم وأرضهم وشجرهم وهذا الأعرابى لايقول أبدا أكثر من ذلك ويبدو عليه الخوف القاتل .. فى أول الأمر لم نعبأ به أهالى أحد النجوع القريبة فإذا بزلزال يطيح بكل مافيها ومن فيها وكان كافيا لأن يطيع بقية الأهالى الإنذار بمجرد وصول الأعرابى إليهم ..

محسن : ألا تعرف أنت شيئاً عن هذا الأعرابى ؟ ! .

عامر : نعم . عندما أتى إلى والدى ليلا تسللت خلفه لأعرف سره ، لقد سار طويلا فى الصحراء حتى وصل إلى الجبل وتسلل إليه ، واختفى فى أحد كهوفه ، ولا أعرف أى كهف فيها ..

محسن : هل يمكن أن تصطحبنا إلى هذا الجبل ؟ يجب أن نتسلل إليه ، وأن نهاجم من فيه .

عامر : متى ؟ .. الآن أم فى الليل ؟ !

محسن : ولماذا الليل ؟. إننا سنبدو فى النهار وكأننا بعض الكشافة وقد ضلوا طريقهم ولن يشك فينا أحد .. قفز « عامر » واقفا وقال: هيا بنا

محسن : سأذهب مع « ممدوح » و « عامر » .. ابقى أنت هنا يا « هادية » مع الأسطى « على » فى السيارة ، وسنترك « عنتر » معكما .. وينبح « عنتر » معترضاً ..

قالت « هادية » فى حماسة : لاتأخذوا « عنتر » معكم ، إنه هو الذى سيعود إلىّ ليخبرنى إذا حدث لكم شىء .

وأسرع « عنتر » يجرى أمامهم ! ..

الأسطى « على » : سأذهب أنا مع « ممدوح » و « عامر » ولتبق أنت هنا يا « محسن » مع « هادية » ..

هادية : اطمئنوا علينا .. إننا فى أمان هنا .. الله معكم ..

وكانت تحاول أن تقنع نفسها بأنها شجاعة ، فقد كان عليها أن تنتظر ساعات طويلة ورهيبة حتى يعرفا النتيجة ، فهاهم أولاء يذهبون إلى مصير غامض مجهول يواجهون وهم العزل عصابة على أعلى مستوى من الأجهزة الإليكترونية ، ولكنها كانت تعرف أنهم يحاربون قضية عادلة دفاعا عن أهلهم .. وبلدهم وكنوزهم التاريخية العظيمة ..

ولمعت عيناها بالخوف والثقة بالنصر ! .

الأسطى ساعة

كان « ممدوح » يفكر فى نفسه ، لقد فهم الآن معنى كلمة يقطعون الصحراء ويطوون البيداء .. فقد كان يسير مع « عامر » و الأسطى « على » فوق الرمال التى ترتفع حينا وتنخفض أحيانا قاطعا مئات الأمتار وساقه تنزل حتى لايستطيع أن يرفعها من ثقل الرمال .. والساعات تمضى والحرارة تشتد. والشمس ترسل لهيبها فوق رأسه .. وتساءل كيف يعيش هؤلاء الناس هنا يقضون العمر كله فى مثل هذه الحياة وشعر بالإعجاب الشديد بهم لهذه القدرة العقلية . وفجأة تنبه من أفكاره إلا أن الأرض قد بدأت تنبسط تحت قدميه والحشائش تنحدر متناثرة فى أول الأمر ثم

وزحفوا سريعاً على الأرض عندما سمعوا صوت الرصاص فى جانب أمامهم

أصبحت أرضا زراعية كبيرة وكأنها مرعى غنى بالخضرة والجمال .. الخضرة التى ترتفع شيئا فشيئا حتى تصل إلى مايقرب من منتصف جبل هائل الحجم أصبح الآن يواجههم تماما ..

قال « عامر » وهم يقتربون من الأرض الخضراء : لقد أتيت وراءه حتى هنا ، ورأيته وهو يتسلق الأرض الصخرية صاعدا إلى الجبل مثل القرود ، ثم اختفى فى مكان ما فى مواجهتنا تماما ..

توقفوا ، ونظروا حولهم ، كانت أشجار النخيل تتناثر أيضا محيطة بالجبل .

قال الأسطى « على » : يبدو أن المياه هنا كثيرة .

عامر : نعم .. إن عيون الماء تتناثر هنا بين أشجار النخيل ، وهى تمتد كلما اتجهنا جنوبا فى الطريق إلى سيوه ..

ممدوح : أعتقد أننا لم نأت إلى هنا لنستمتع بجمال الطبيعة ، هيا نتحرك إلى الأمام ..

ولم يتم كلمته ولم يتقدم خطوة أخرى حتى سمع صوت

صفير حاد يمر بجوار أذنه فصاح : انبطحوا .. إنه صوت رصاص .

ارتموا على الأرض وأخذوا يتدحرجون عائدين ليحتموا ببعض أشجار النخيل ..

وصمت صوت الرصاص وجلسوا خلف الأشجار .

استطرد « ممدوح » قائلا : لقد تحقق ظننا ، إنها عصابة مسلحة خطيرة .

عامر : إن معى مسدساً أنا أيضاً ..

الأسطى « على » : أرجو ألا تستعمله ثم إنه لايكفى وحده أمام هذا السيل من طلقات النار .

عامر : وماذا نفعل الآن ؟

ممدوح : مارأيك ؟ .. نتسلل من جانب آخر .

أخذوا يجرون وسط الأشجار محاذرين أن يرى أحد تحركاتهم حتى ابتعدوا كثيرا عن موقعهم الأول ثم أخذوا يخرجون فى محاولة لغزو الجبل !

ولم يسيروا أكثر من خطوات قليلة حتى بدأ سيل من

الرصاص يتناثر حولهم ، ومرة أخرى ارتموا على الأرض وأسرعوا عائدين إلى النخيل .. نظر بعضهم إلى بعض ليطمئن كل منهم على الآخر . وتنهدوا فى يأس .. فجأة تذكر « ممدوح » أن « عنتر » غير موجود معهم فصرخ : عنتر .. عنتر ! ..

وسمع نباحا بعيدا ..

ونظر بحذر من وراء النخلة .. كان « عنتر » يجرى عند سفح الجبل وراءه بعض الماعز .

وهتف « على » : عجيبة ! كيف استطاع التسلل إلى هناك ؟ !

ممدوح : لعلهم لايضربون إلا البشر .. اسمعوا .. إننى أفكر فى شىء مهم ، لايمكن طبعا أن يكون هناك أفراد من العصابة تكفى لحماية الجبل كله ، لابد أنهم يملكون أجهزة آلية لرقابة الطريق ولضرب كل إنسان يحاول الدخول إلى المنطقة الجبلية .. هذه الأجهزة لها مدى معين أى أنها تصيب الأشخاص فى المكان الذى يصل إليه هذا المدى وهو المكان

الذى يحيط بالمنطقة الخضراء ، فإذا استطعنا اختراق هذا الحاجز فستتمكن من الوصول إلى الجبل ! !

عامر : وإذا استطعنا أن نتسلل .

ممدوح : مستحيل إن هذه الأجهزة بلاشك سوف تنذرهم بوصولنا ، وسنجدهم فى انتظارنا بالأحضان طبعا ! ! ..

عامر : الحل الوحيد أن نتسلل بدون أن يشعروا بنا ..

الأسطى « على » : كيف ؟ ! إنهم يحاصرون الجبل بالآتهم الرهيبة من كل ناحية ، ولن نتمكن أبداً من اختراق حاجز الموت هذا ! !

ممدوح : لا .. بل سنتمكن من اجتيازه تماماً كما اجتازه « عنتر » وكما عبرته هذه الأغنام !

وصاح « عامر » و « على » فى وقت واحد : ماذا تقصد ؟

التفت « ممدوح » إلى « عامر » وقال : هل عندك بعض الأغنام ؟

عامر : طبعا ..

ممدوح : وهل نملك بعض جلود الخراف الكبيرة ؟ !

عامر : وهل تخلو خيمة منها !!

ممدوح : حسنا . مارأيك فى أن تحضر هذه الجلود وبعض الأغنام . ونضعها علينا كأننا من الأغنام التى ترعى هنا ، ونتسلل وسطها إلى الجبل كما فعل « عنتر » ! ..

عامر : فكرة رائعة !

ممدوح : أرجو أن تنجح !!

عامر : سأحضر فى أسرع وقت ممكن ..

وأسرع عائدا إلى الخيام فى حين بقى « ممدوح » و « على » ينظر أحدهما إلى الآخر فى تساؤل صامت ، وكأنهما يتساءلان .. هل يعود ؟

أخذ « ممدوح » يقضى الوقت فى أكل البلح الذى يتساقط من فوق أشجار النخيل . وأخذ « على » يحاول أن ينظر إلى الجبل من خلال النخيل لعله يستطيع أن يرى أو يلمح شيئا يدله على مكان العصابة ، وكان ينظر بدون

فائدة ، فالجبل صامت وبعيد لاتلوح فيه بادرة حياة ولاتلمح فيه باباً ولامنفذا ..

والعجيب أنه لم يمض وقت طويل حتى سمعوا صوت أغنام تقترب .. وتساءل « ممدوح » : هل عاد « عامر » بهذه السرعة ؟ !

وظهر « عامر » ، وكان فى ظهوره تفسير لحضوره السريع ، فقد كان يركب جملا ، وقال وهو ينزل من فوقه : لقد مررت على « هادية » و « محسن » وطمأنتهما حتى لايقلقا مع مرور الوقت ! ..

شكره الاثنان .. إنه يفكر فى كل شىء .

أخذوا جلود الخراف وثبتها كل واحد للآخر حول جسمه ورأسه جيدا ببعض الحبال التى أحضرها « عامر » معه . واندسوا وسط الأغنام وهم يحرصون على أن ينحنوا قدر طاقتهم حتى يكونوا فى حماية بقية الخراف ، فلا يصيبهم الرصاص إذا أطلقوه عليهم .. وببطء أخذوا يتحركون وسط القطيع الصغير الذى انطلق بدون توجيه إلى المرعى الأخضر .

كانت قلوبهم تدق فى صدورهم وهم يجتازون خط الموت الأخضر . هل تنجح الفكرة ؟ ! ويعبر الثلاثة بسلام .

ولم يشعروا إلا وهم وسط السهل الأخضر وسط الأغنام . لقد نجحوا .. عبروا الخطر : إنهم الآن فى أمان ، ولم يتحدث واحد منهم إلى الآخر ، ولكن « عامر » الخبير بالأغنام كان يحث أغنامه على الاقتراب – وهم بينها – شيئا فشيئا من الجبل . وفجأة حدث مالم يتوقعه الثلاثة .. لقد ظهر « عنتر » .. وهمس « ممدوح » من بين أسنانه : لقد ضاع كل مابنيناه . فقد كان متأكدا أن « عنتر » سوف يعرفهم على الفور وسيقفز حولهم وينبح نباحاً يكشف حيلتهم بغير شك ..

ولكن العجيب بل المذهل أن « عنتر » اقترب منهم فى صمت لم ينبح ولم يقفز ، بل أخذ يتمسح فى « ممدوح » تارة وفى الأسطى « على » أخرى وفى نظراته تعبير غريب ..

وهمس « ممدوح » نفسه : ياكلبى المخلص العزيز « عنتر » ، أنت تفهم مانفعل ياعزيزى كم أود أن أحتضنك

بين ذراعى .. أنت أذكى كلب فى العالم . ولكن عيون « عنتر » كانت تقول شيئا آخر .. ينظر إليهم ثم يسير مبتعدا ، وينظر فإذا لم يتحركوا يعود لينظر إليهم مرة أخرى ويجرى فى بطء ...

وقال « ممدوح » : إنه يريدنا أن نتبعه ...

اقترب من « عامر » وطلب منه أن يقود الأغنام وراء « عنتر » وبمهارة تحولت الأغنام فى طريقها وراء « عنتر » الذى دار حول الجبل ثم توقف ونبح نباحا هادئا بطيئا واختفى !

وراءه سارت الأغنام ؛ كانت هناك فتحة فى الجبل كبيرة ومظلمة ، ولكن نباح « عنتر » الخافت كان يناديهم .. وأنصتوا .. صوت آخر غير « عنتر » صوت أنين خافت ! !

ونسوا حذرهم وقفزوا إلى داخل الكهف ، وعلى الضوء البسيط رأوا أن الكهف كبير واسع وبه سيارة چيب ضخمة متينة كان الصوت ينبعث منها ، و « عنتر » يقفز وينظر من نافذتها إلى الداخل .. أسرعوا إلى السيارة .. فتحوا بابها كان

في داخلها رجل يئن وأشعل « ممدوح » بطاريته وسلط ضوءها إلى جهة الأنين ورأى رجلا ملقى على الأرض وقد شد وثاقه برباط متين وعلى فمه قطعة ضخمة من « البلاستر » وقد كاد يختنق .

أسرع إليه الثلاثة يتعاونون فى فك وثاقه ، ورفعوا عن فمه « البلاستر » بكل صعوبة وكان على وشك الإغماء عندما أخرج « ممدوح » من جيبه أنبوبة من النشادر وضعها على أنفه !

أفاق الرجل ونظر إليهم برعب وقال : من أنتم ؟ كيف تمكنتم من الوصول إلى هنا ؟ !

تذكروا فجأة أنهم مازالوا يضعون فراء الخراف على أجسامهم . تخلصوا منها وقال « ممدوح » : نحن الذين نوجه لك هذا السؤال ؟ من أنت وكيف أتيت إلى هنا ؟

وصاح « على » هامساً : ماذا جاء بك هنا يا أسطى سماحة ؟

نظر إليه الرجل مندهشاً .. وقال : كيف جئت أنت إلى

هنا ؟ !

قال الأسطى « على » : احك لنا أنت أولا .. ماذا حدث بالتفصيل .

ممدوح : لاداعى لأن تضيع الوقت فى الكلام فقد يفاجئنا أحد !

سماحة : سأحكى لكم باختصار .. لقد حضرت إلى هنا مرغما فقد اتفقت على رحلة إلى صحراء الهرم ولكنهم هددونى بالقتل حتى وصلنا إلى هنا وفى أول الأمر حاولت إرضاءهم وإقناعهم بأننى سأتعاون معهم ، حتى رأيتهم يجمعون كنوز بلادنا فكاد يصيبنى الجنون ، وفى لحظة اندفعت إلى الكهف الذى يضعون فيه أجهزة الزلازل والإنذار لأحطمها ولكنهم فاجأونى فقيدونى هنا .

ممدوح : ولماذا لم يقتلوك ؟

سماحة : أعتقد أنهم يحتاجون إلى سائق بعد انتهاء مهمتهم .

ممدوح : يجب أن نتحرك فورا ، هل تعرف الكهف

الذى به هذه الآلات وأين أفراد العصابة الآن ؟

سماحة : أفراد العصابة أربعة لاغير ، ولكنهم يستعينون بأجهزة رهيبة وضعوها فى كهف صغير ، وقد جلسوا هم فى كهف آخر ومعهم أجهزة أخرى للتحكم فى الزلازل وتحريكها وتحويلها إلى المكان الذى يريدون .. وكهف الأجهزة قريب من هنا ، فى حين يجلسون هم فى مواجهة الواحات ..

ممدوح : هيا بنا .. يجب أن نصل إلى كهف الأجهزة فورا .

ربّت « ممدوح » ظهر « عنتر » شاكرا وتقدم « سماحة » المجموعة ، ووراءه « عامر » الذى كان يتسلق الجبل مثل القرود ، ثم « ممدوح » و « على » .. ولم يكن الأمر سهلا ؛ فالجبل أملس فى بعض الأماكن لايكاد يستطيع أحد أن يمسك به فكان عليهم البحث عن مكان آخر ..

وكانت الشمس قد بدأت تغيب ويظلم الكون ، ولكن كان عليهم الوصول بسرعة قبل أن تكتشفهم العصابة ، ولايبق أمامهم إلا الموت ، وبمشقة وجهد رائع كان الأربعة

يتقدمون خطوة وراء الأخرى . حتى توقف أخيرا « سماحة » وقال مشيرا إلى فتحة فى صخور الجبل هنا .. وتقدم « ممدوح » ممسكا ببطاريته .. وصرخ « على » : انتظر .

وتوقف الجميع وسلط « ممدوح » ضوء بطاريته على سلك دقيق فى الأرض وقال : هذا السلك ، واحد من اثنين إما أنه سلك كهربائى يحمى الكهف أو سلك للإنذار يدق إذا عبر أحد من فوقه .

سماحة : يبدو أنه سلك إنذار فعلا ، إنه هو الذى نبّههم إلى وجودى فى الكهف !

وسأل « عامر » : وما العمل الآن ؟

ممدوح : يجب أن نتخلص منه أولا !

الأسطى « **على** » : كيف ؟

ممدوح : انتظر .

أمسك بالبطارية وسار وراء السلك .. لم يزد سيره على مترين ثم انحنى على الأرض .. وقال « لعلى » : ابحث حولك عن قطعة من الخشب .

وبحثوا جميعا حتى عثروا على قطعة خشبية متينة وأمسك « ممدوح » قطعة الخشب وقطعها بالمطواة إلى نصفين ثم استعمل المطواة وكأنها « مبراة » ليشحذ بها القطعتين .. فأصبحتا كالسكين ..

كان الثلاثة ينظرون إليه وكأنه أحد الحواة ، وأزاح قطعة من الصخر وتحتها ظهر جهاز صغير يخرج منه السلك ، وبمهارة شديدة استعمل « ممدوح » قطعة الخشب ليسند بها الجهاز والأخرى ليجذب السلك بهدوء شديد ودقة ومهارة .. وتعلقت الأنفاس بقطعة الخشب وهى تجذب السلك شيئا فشيئا حتى سمعوا صوت تكة خفيفة ثم انفصل السلك عن الجهاز . وقف « ممدوح » وتنهد بعمق وقال : الآن يمكننا اقتحام الكهف .

وسأل « **سماحة** » : ألن ينطلق جرس الإنذار ؟

ممدوح : لا .. إنه ينطلق عندما يمر فوقه جسم متحرك والخشب موصل ردىء للحرارة ولذلك استعملته لفصل السلك عن الجهاز وأسرعوا عائدين إلى الكهف واحدا واحدا

وأمام مجموعة من الآلات والعدد الغريبة تملأ الكهف وقفوا فى ذهول وقال « ممدوح » خسارة أن ندمر هذه الآلات أو نحطمها .. وتحرك قلقا وقال : لا .. ليست خسارة يجب أن ندمرها فورا ، لاوقت لدينا .

وفجأة اندفع « عامر » إلى الآلات وفى يده حجر ثقيل يحطمها ويدمرها ويحيلها إلى مجموعة من الأسلاك ومعه اندفع الباقون .

قال « **ممدوح** » : كنت أتمنى أن نأخذها معنا ليدرسها « محسن » .

عامر : لا إنها آلات شيطانية من صنع الشيطان .

وفى دقائق كانت الآلات الرهيبة قد تحولت إلى كومة من الحديد والزجاج والأسلاك وكان « عامر » يرقص فوقها وهو يقول لم تعد هناك زلازل .. لن نرحل عن الأرض .. لن نرحل .. لن نرحل ..

وأمسك « ممدوح » به يوقفه عن الضجيج وقال له : هيا بنا .. يجب أن ننهى مهمتنا ونقبض على أفراد العصابة .

وبدأ الأربعة يخرجون من الكهف واحدا واحدا كما دخلوه .. وكانت خطتهم أن يدوروا حول الجبل لينقضوا على الكهف الذى تجلس فيه العصابة .. فجأة ومن قلب الظلام اندفع كشاف ضخم يطوف بالجبل ويتوقف عندهم واحدا ثم الثانى وهكذا .. وصاح « ممدوح » : ليختفِ كل واحد منكم وراء صخرة : وأسرعوا يختفون وراء الصخور والكشاف يطوف بهم باحثا عنهم ، ومن فوق قمة الجبل ، ومن أربع جهات ، بدأت طلقات الرصاص تنهال عليهم وصرخ « ممدوح » صرخة عالية وقفز فى الهواء فى الوقت الذى وصل إليه نور الكشاف ثم سقط وراء صخرة . وكان ظهوره كافياً ليندفع أفراد العصابة كلهم فى اتجاهه والرصاص يغمر المكان .

وكانت هذه خطة « ممدوح » أن يدفعهم للنزول إلى مكانهم ونجحت الخطة .. وعندما وصل أفراد العصابة وجدوا أنفسهم يسقطون تحت ثقل أربعة أجسام أخرى التحمت بهم بالأيدى بعد أن أسقطت منهم الأسلحة النارية .. ودار قتال عنيف .. استعمل « ممدوح » فيه كل

فنون الكاراتيه الذى يتقنه ، ولكن الأعداء كانوا أيضا يمتازون بالقوة .. فجأة ارتفع صوت فى الفضاء وبدأ المكان يلمع بالأضواء .. كان صوت طائرة هيليكوبتر تقترب وهى تقذف بعشرات من القذائف المضيئة ، وأصبح المكان مضاء وكأنه فى قلب النهار .. ونزلت الطائرة ونظروا إليها فى ذهول ومن قلبها قفز عشرات الجنود .. وكانت هذه هى اللحظة التى تمكن فيها أفراد العصابة من الهرب والجرى بعيدا عن المكان .. ماعدا واحداً فقط كان « عنتر » يمسك بساقه بين فكيه بكل قوة ، والرجل لايملك إلا الصراخ وقريبا منه كان « ممدوح » قد سقط ودمه ينزف وهو يمسك كتفه ويمنع نفسه من الأنين .. ولكنه شعر بالدوار وكاد يسقط من مكانه عندما شعر بساعدين تحتضنانه وتمنعانه من السقوط ونظر إلى صاحب الساعدين فلم يصدق نفسه . كان المفتش « حمدى » يبتسم فى وجهه ويقول : اطمئن لن يهربوا بعيدا .. إن الجنود يحيطون بالمكان كله ..

جهاز اللاسلكى يعمل ! . .

المفتش « حمدى »

.. وبعد ساعات جلس المفتش « حمدى » وسط أصدقائه فى الخيمة الكبيرة بعد أن ضمدوا جرح « ممدوح » الذى كان نتيجة لإصابة سطحية من رصاصة فى كتفه وابتسم « حمدى » وقال : من يصدق ، لقد بدأت المغامرة فى القاهرة واكتملت نهايتها فى قلب الصحراء .

سأله « ممدوح » : كيف وصلت إلى هنا ؟

أشار المفتش « حمدى » إلى « هادية » وقال : اسألوها .

ضحكت « **هادية** » وقالت : الحقيقة أننى بعد أن ابتعدتم عنى أخذت أفكر فى جهاز اللاسلكى ، وقال لى « محسن » : إن الجهاز يعمل ولكن عليه تشويش وأنا أعرف

أن التشويش يكون فى مناطق محددة ، فكرت أن نبتعد بالسيارة قليلا عسى أن نبتعد عن منطقة التشويش وهذا ماحدث فقام « محسن » بقيادة السيارة ، وسامحوه من أجل ذلك فهى مخالفة قانونية لأنه لايملك رخصة قيادة .. وابتعدنا قليلا وهنا أحسست أن الجهاز قد ضاع منه صوت التشويش .. وبدأ « محسن » يشغّله فسمعنا صوتاً يخاطبنا . . فطلبت المفتش « حمدى » ، وأخبرته بكل ماحدث فطلب منا البقاء مكاننا حتى يحضر بالطائرة فوراً ، وهذا ماحدث .

المفتش « **حمدى** » : إن تفكير « هادية » ممتاز كماهى العادة ، وعلى فكرة لقد استطعنا القبض على أفراد العصابة . . إنهم الأربعة المفقودون من الفندق ، وكنا قد استفسرنا عنهم من « الأنتربول » وأخبرونا .. أنهم رؤساء أربع عصابات .. ولكننا لم نعرف طريقهم حتى قبضتم أنتم عليهم !

سألت « **هادية** » : هل استطاعوا تهريب الآثار إلى الخارج !

حمدى : لا .. الفضل لكم .. لقد كانت فى الكهوف تنتظر أن يخرجوا بها .. ولكنكم كنتم أسبق فحافظتم على ثروة البلاد .

عامر : الآن نستطيع أن نعيش مرة أخرى فى سلام !

المفتش « **حمدى** » ماهى خطتكم .. هل تتابعون الرحلة ؟!

هادية : للأسف لا . . يجب أن نعود حتى يسترد « ممدوح » صحته .

محسن : ربما نعود مرة أخرى .. يوماً ما ..

ونبح « عنتر » .

وضحك المفتش « **حمدى** » وقال : أنت بطل عظيم .. كنت أول من أمسك بالخيط ..

سأصنع لك ميدالية ذهبية ! . . والآن . أعتقد أنكم ستعودون معى فى الطائرة وسنرسل من يأخذ السيارة ليعود بها . فالأسطى « على » والأسطى « سماحة » فى حالة من التعب والإرهاق لاتسمح لهم بذلك .. والتف الجميع حول

المفتش « حمدى » يشكرونه .

وانتبهوا على ضجيج خارج الخيمة .. كان أهالى القبائل يلتفون حول الخيمة .. محملين بالهدايا .. يضحكون ويغنون ..

خرجوا إليهم ليشكروهم .. ويعتذروا عن كل هذه الهدايا .. وقالت « هادية » وفى عيونها دموع الفرحة : سنعود مرة أخرى . سنعود .. سنعود ..

وطارت بهم الطائرة !